رواية
محمود بكري
٣٠ يوم في البعر
تشكيل للنشر والتوزيع

استهلالة

تنظر إليه غير مصدقة، تبخّر كلُّ شيءٍ عن كاهلها، عادت حيويتها لثوانٍ وهي تراه يجلس على كرسي خشبي أسود بقاعدة جلدية وبجانبه أكثر من شخص في حلقة دائرية، ابتسمت رغم كل شيء، رغم التعب الذي أثقل روحها، كادت أن تخرج منها ضحكة بصوت عالٍ لكنها تماسكت كما تفعل دائمًا.

بمجرد أن رآها تحرك إليها مباشرةً وهو غير واعٍ لما يفعله، فقط الحنين إليها ما يحركه، رغم كل شيء حدث بينهما في الماضي، ورغم المكان الذي يجمعهما وحالة الكآبة التي تسيطر على الجالسين، حركته قدماه إليها وهو مُقرٌ بأنه لا مكان لهما في ذاك الجمع بعدما التقت أعينهما، قرر أن يأخذها ويخرج بعيدًا عنهم، فقالت ولاتزال تلك الابتسامة الهادئة مرسومة على شفتيها وهي تصافحه بود:

- يعني تلات سنين يا عبد الله ولما أشوفك، أشوفك في (Group Therapy)!!

لم يجبها وهو لايزال متجمدًا من مفاجأة رؤياها بعد كل تلك السنوات ولا يعلم ما يقول، هربت منه الكلمات، وكيف له أن يخبرها عما جرى له فيما مضى!

أمسك يدها على استحياء وخرج بعيدًا عن الناس، لا يعلم إلى أين يذهب، فقط ترك قدميه تسيران به إلى مكانهما الذي اعتادا عليه، أخرج علبة السجائر من جيبه وناولها سيجارةً وهو يقول:

- لسه بتدخني ولا بطلتي؟

التقطتها منه في خجل بعدما أرخت عينيها عنه ونظرت في الفراغ بعيدًا قائلة:

- لأ مبطلتش، وأبطل ليه أهي موت بالبطيء.

- ليه بتقولي كده يا أمل، مكنش ده كلامك زمان.. أنا مش مصدق نفسي وجاية الـ (Therapy) تعملي إيه، ده إنتي طول عمرك قوية ومفيش حاجة بتاخد أكتر من وقتها معاكي وأكبر الصدمات اللي كانت في حياتك تخطتيها في وقت قليل وإحنا كنا سوا.. إيه حصل؟!

قبل أن تجيبه على سؤاله، قطع حديثهما رنين هاتفه، نظر إليه وهو يبتسم ابتسامة بجانب شفتيه:

- دي الدكتورة اللي المفروض إننا جايين نحضر معاها الجلسة.

لم يجب على الهاتف، نظر إليها ثم تابع:

- مش هنحضر، تعالي نروح المكان بتاعنا وتحكيلي إيه اللي وصلك لهنا.

لم تناقشه تركت له يدها في استسلام، فتسير بجانبه وشريط ذكرياتهما سويًا يمر أمام عينيها، ثم أغمضت عينيها لثوانٍ؛ لتعود لما كانت عليه الفترة السابقة.

لم يتبقَ أحدٌ.. الجميع قرَّر الرحيل بعد أن وصلوا لمرحلة اليأس من أن يروها بخير، الجميع بلا استثناء؛ ظنًا منهم أنها ستكون بخيرٍ

بمفردها، أكثرهم اهتمامًا بها تحمَّلها ثلاثين يومًا فقط لا أكثر، وبعد أن وصلت لتلك المرحلة شخَّصها الطبيب أنها تعاني من اكتئاب حاد يصاحبه قلق مستمر مع أرق يكاد يفتك بخلاياها العصبية ويدمرها. لم يكن طبيبًا بالشكل الحرفي للكلمة، إنما كان أحد أصدقائها القدامى الذين لم تعد تلتقيهم منذ مدة، لكنها عندما شعرت بأنها تريد أن تأخذ رأي مختص اتصلت به وطلبت لقاءه، سالم.. مدرس علم النفس الذي يحاول جاهدًا مساعدة نفسه وأصدقائه. جلس سالم أمامها ولم يصدق أن بعد كل تلك الفترة يرى «أمل» في هذا الحال، سمع منها بعض الخطوط العريضة، وهي أيضًا لم تستطع أن تفصح عما بداخلها إليه، قطع حديثها قائلًا:

- أنا في المقام الأول مش دكتور نفسي يا أمل.. وحتى لو مينفعش أحاول أساعدك عشان صلة الصداقة اللي بينا.. أنا ممكن أساعدك بشكل تاني خالص.

سألته كيف يستطيع فعل هذا، فأجاب وهو مبتسمًا:

- أنا ممكن أديكي رقم دكتورة صديقة قوية جدًا تساعدك أو اسم جروب دعم نفسي هيساعدك أوي تختاري الدكتور المناسب اللي ترتاحيله.

كان يعلم أنها في كلتا الحالتين ستذهب لنفس الطبيبة التي شكرها الجميع، تلك التي أخذ «عبد الله» ميعادًا عندها. لم يكن يتخيل أن الصدفة ستلعب دورًا مهمًا في كتابة سطر آخر في قصتهما ويلتقيان مرة أخرى لينقذ كلٌ منهما الآخر بعد كل تلك السنين. قررت أخذ اسم

الجروب؛ لأنها كانت تغفو غفوات قليلة لا تُشبع جهازها العصبي، لم يُخبرها سالم بأن مريض الاكتئاب من السهل عليه أن يخسر كلَّ من هم حوله لمجرد أنهم لا يفهمونه ويعتبرونه مجرد دلال غير مفهوم وغير مبرر، فيُسقط من بين يديه علاقات كثيرة ليبقى وحيدًا هو وأفكاره فقط يتركها تتغذى عليه وتنهكه.

لم تكن سعيدة بما آلت إليه، كل ما تريده أن تعيش ألمها بكامل ما تملك من طاقة لكي تعود من جديد إلى أمل التي اعتادت عليها، فقررت أن تنهي تلك الحالة التي سئمت منها بنفسها، فتحت حسابها على الفيس بوك وبدأت تبحث عن شيء محدد ولا تريد أن تعاني أكثر مما عانت عليه، ثلاثون يومًا بعد الفراق، هذه المدة كافية حتى تصبح إنسانًا آخر في عين الجميع بعد أن كانت أكثرهم بهجة وطاقة وحيوية. ثلاثون يومًا هي أكبر فترة في أي وجع وألم مرَّت به في حياتها، لم تعد قادرةً على السقوط أكثر من ذلك، فكل ما مرَّت به في الماضي مؤلمٌ ومُنهِكٌ، ولكنها كانت تحمل بداخلها طاقةً للسقوط والوقوف من جديد، أمَّا الآن فهي فارغة تشعر بأن روحها تئنُّ من المعاناة والأوجاع التي أحاطت بها من كلِّ جانبٍ تستكين للمكوث في الأسفل ولكن هناك شيء بداخلها يَحثُّها على النهوض من جديد.

بحثت عن الـ (Group) الخاص بالدعم النفسي والمشاركة التي تساعد مرضى الاكتئاب بشكل دوري ومستمر للتخلص من هذه الحالة، ضغطت زر الانضمام وباهتمام شديد بدأت تتصفحه وترى ما يتم نشره وما يقدمه الأعضاء لبعضهم البعض عندما يكتب أحدهم معاناته، زفرت بملل عندما لم تجد أي شيءٍ أكثر مما قدمه الجميع لها

في تلك الفترة.

بعد بحث طويل أخذت رقم أحدهم، كانت أكثرهم شهرة في تلك المجموعة واتصلت بها، أخذت موعدًا ثم قالت قبل أن تغلق الخط معها:

- فيه جروب (Therapy) النهاردة تعالي احضريه وبعدين نتكلم، مظنش هتخسري حاجة لو جيتي ساعة بدري عن ميعادك.

هزَّت رأسها كعادتها دون أن ترد، سألتها عن رأيها فابتسمت؛ لأنها لاحظت أنها لم تُجِبها، تفضل الصمت دائمًا عن الحديث وتترك الجميع يخمن ماذا تريد.

- تمام يا دكتورة، ممكن تبعتيلي لوكيشن وهاجي في الميعاد.

جهزت نفسها وكأن هناك شيء كبير سيحدث، قررت أن تتخطى مهما كان الثمن. ارتدت ملابسها ووضعت بعض الرتوش الخفيفة لتداري فقط الهالة التي تحيط عينيها من البكاء وقلة النوم.

هل يصح أن نسميه بكاءً! بل كان القلب ينزف دمعًا، لا شيء يضاهي ارتجافة القلب عندما يشعر أنه قد خُذِل.

تذكرت أن البكاء لم يكن في قاموسها أبدًا، تحبس دموعها وتتخطى كل ما يحدث، وكأن هناك شيء يقول لها دومًا: «ليس هناك وقت للبكاء فلا يجب أن تبكي، البكاء للضعفاء» ليتها لم تسمع ذاك الصوت الذي كان دومًا يتردد بداخلها، ليتها تركت روحها تسقط وتبكي وتنهار حتى لا يتراكم بداخلها كل الألم دفعة واحدة ويطالبها

بالركوع استسلامًا لضعفها الذي قاومته كل تلك السنوات، وبعد فترة طويلة من الصمود قررت أن تترك عينيها لتبكي، لتخبر روحها بأنه لا بأس من البكاء والعويل والصراخ.. لا بأس.

أما الآن فقد حان وقت التغيير.

نظرت لنفسها في المرآة بعد أن انتهت مما تفعله، وبألم حقيقي حدثت نفسها وهي تنظر إلى عينيها الغائرتين من الحزن الذي اعتصر روحها وكاد يفتك بها قائلة:

- إنتي إزاي بقيتي كئيبة كده.. أنا مش هسمحلك تضيعي «أمل» اللي أنا عارفاها كويس حتى لو هيبقى آخر يوم في عمري.

ودعت والديها كما كانت تفعل دومًا، خرجت محاولةً ترك كل شيء خلفها. شعرا ببعض الراحة عندما رأيناها تخرج من غرفتها التي حبست روحها فيها كل تلك الفترة المؤلمة، وضعت السماعات الصغيرة في أذنيها وبأنغام موسيقى الكمان بألحان (قصاد عيني)، تحركت وهي مقررة أن تتصالح على روحها التي فقدتها من جديد، لن تترك نفسها لأي شيء يأخذ منها أكثر من ذلك.

سارت بخطوات سريعة بعد أن نزلت من السيارة الأجرة وتحركت ناحية العنوان الذي أخذته من الطبيبة. صعدت السلالم بتثاقل والخوف يتملّكها، تساءلت بداخلها «هل أستطيع البوح، هل أمتلك تلك الشجاعة!!» وقبل أن تلتفت للعودة بعد أن ارتجف قلبها من الخوف من حديث لم تعتد عليه، التقت عيناها بآخر شخص كانت تتوقع رؤيته، «عبد الله» الذي قرر الاختفاء منذ ثلاثة أعوام وفجأة

يظهر مرة واحدة ويأخذ بيديها لأقرب كرسي في (كافيه) على النيل اعتادا الجلوس فيه دوما.

عادت مرة أخرى من شرودها ونظرت إليه نظرة طويلة، مازالت عيناه البنيتان جذَّابتين كما كانتا، فقد القليل من شعره مع اقتراب دخوله لسن الثلاثين فقرَّر أن يمحي آثاره كلها. ولحيته الكثيفة جعلت مظهره جذَّابًا أكثر من أيام الجامعة. أصبح أكثر اتزانًا ووقارًا وإثارة. نظرت له «أمل» بشغف حقيقي فقدته منذ فترة طويلة، قالت وهي تتأمل ملامحه وكأنما تتذكر كل شيء دار بينهما.

- مكنتش متوقعة أشوفك.. اتغيرت.

لاتزال ابتسامته الحانية مرسومة على شفتيه، ثم قال:

- بس إنتي متغيرتيش.. لسه زي ما إنتي.

أعاد برده عليها أعوامًا كثيرة إلى الماضي، إلى نسختها القديمة وإلى كلماته الرقيقة التي اعتادت عليها منه، غيابه حوَّلها إلى أمل أخرى لا تعرفها، ولكنها الآن تشعر بأن الزمن قرَّرَ مُصالحَتِها بعد كل تلك السنوات الطويلة وبعد ألم الفراق، عاد إليها ليبث الحياة بها من جديد.. من يعلم! امتلأت بالخجل من كلماته، ونظرت إلى موضع يديها مثلما اعتادت أن تفعل فلاحظ «عبد الله» خَجَلها فقال:

- مقولتليش اتغيرت للأحسن ولا للأوحش؟

- أنا ديمًا شيفاك حلو.

ثم نظرت بعيدًا عنه وأكملت:

- عينيك فيها كلام كتير عاوز تقوله يمكن محشور الكام سنة اللي فاتوا ومش عارف تطلعه لأي حد وكنت جاي الـ Therapy دي عشان تحكي صح!

ابتسم عبد الله وهو ينظر إليها، كما هي لم تتغير ملامحها التي لا تدل على مصريتها أبدًا، فهي أخذت أحلى الصفات من جميع الأعراق، كانت تفتنه دائمًا بجمالها فلا يستطيع مقاومتها فيهرب، ولكن هل يهرب الآن!

يهرب من ماذا!! عين سوداء ساحرة شعر أسود بلون الليل وطويل يساعدها في أن تشكله دائمًا على حسب حالتها المزاجية، فهي الآن تصنع منه ضفيرة كبيرة طويلة متدلية على كتفيها في كل خصلة من خصلاته ذكرى لهما سويًا.. تُرى هل تغير وجوده بداخلها!!

هناك شيء ما واضح على ملامحها ولمعة عينيها رغم محاولاتها المستميتة أن تداري ذلك. دائمًا ما يُفتن بملامحها ويطول الصمت وهو ينظر إليها.

- أنا معنديش حاجة تتحكي، إنتي اللي عنيكي فيها كتير أوي وجاية عشان مقدرتيش تطولي في الوجع، جاية ترمي كل اللي عندك وتمشي عشان ترجعي كويسة تاني، ترجعي أمل اللي.....

لم يكمل جملته، سكت لثوانٍ ثم تابع:

- أمل اللي دايما مفيش حاجة تقدر تكسرها.

تكونت الدموع في عينيها فقال وهو يمسك يدها محاولًا التخفيف

عنها:

- احكي يا أمل أنا سامعك، هسمعك للآخر وبعدين نشوف حل في اللي وصلك للحالة دي... أنا جمبك متخافيش.

كان دائمًا بجانبها لم يتركها، لكن الوضع كان أقوى من الجميع وجمالها وجنونها كان أقوى من تمسكه بها.

- ممكن قهوة عشان أعرف أحكي.

نادى النادل ليطلب قهوتهما التي اعتادا على شربها سويًا في ماضيهما، أمسكت الفنجان بيدها وتناولت منه رشفة صغيرة ثم كادت دمعة من عينيها تسقط، فأمسكتها بقوة ثم ألقت بما في قلبها أمامه.

1

- أنا مش هكمل

كسرت هذه الجملة الصمت الطويل الذي ساد بينهما، ثلاث كلمات كفيلة بأن تضع حدًا لكل ما يحدث، تضع حدًا لكل شيء، صمتت كل الموجودات.. توقف كل شيء حولها عندما همس بها، وكانت تلك هي المرة الأولى التي ينطق بها فعليًا وكأنه فراق محتوم أحسَّته وشعرت به منذ مدة، ولكنها تكذِّب نفسها ولا تريد التصديق.

الخوف من الوحدة، التعود على الوجود.. الملل من كل شيء فيها.

في تلك اللحظة التي تجمد العالم من حولها بدأت تتساءل بداخلها «ما الذي حدث!! كان كل شيء يبدو مثاليًا، توهج الحب، الامان والراحة والاطمئنان لماذا قرر الآن أن يسحب كل شيء مني؟ ما الذي يؤدي إلى البُعد! لماذا يفرض علينا الآن فرض الفراق».

عادت الأشياء مرة أخرى تتحرك أمامها، والأصوات تتداخل في (الكافيه) الذي تجلس فيه معه، نظرت له في ذهول حتى يعيد النظر في جملته، وكانت عيناها تسألانه، هل تتحدث بتلك الجدية التي تظهر على ملامحك!، فاستكمل قائلًا وهو يحاول عدم النظر في عينيها:

- مش مرتاح.. مبقتش مبسوط، مش إنتي السبب بس أنا مبقتش عاوز أكمل، حاسس إن العلاقة بقت مرهقة.

تسأل نفسها سؤالًا واحدًا دون أن تنطق شفتاها: «ماذا فعلت له

حتى يشعر بأن علاقتنا مرهقة!» تذكرت كل ما حدث بينهما من أول يوم حتى الآن، تفكر وتسأل نفسها سؤالًا واحدًا: «ما الشيء الذي أخفقت فيه لتخسره بهذه الطريقة، من الذي دخل بين قلبيهما وروحيهما ليتسلل هذا الإحساس إلى قلبه؟».

تذكرت كلامه وهو يخبرها دائمًا كم هي الراحة التي يشعر بها بين كفيها، السعادة التي تملأ قلبه عندما تحادثه، نظرت إليه طويلًا من دون أن تتحدث، ثم لملمت أشياءها من على الطاولة التي لطالما جمعت بينهما لتشهد يوم فراقهما، وتحركت من دون أن تنطق.

هبَّ واقفًا عندما وجدها تغادر مناديًا عليها بخفوت وكأنه لا يريدها أن تسمع فتعود.

- أمل.. يا أمل..

سمعت صوته الواهن وهو ينادي عليها والخذلان يقطر منه فأعطته ظهرها ولم تلتفت إليه وخرجت بعيدًا عن كل شيء، طلبت سيارة بهاتفها وركبت مباشرة وتحركت إلى المكان الذي أخبرت السائق به عن طريق هاتفها دون كلمه واحدة.

جلس طارق في مكانه لا يدري ماذا يفعل! هل يسير خلف إحساسه بعدم الراحة ويكمل في إنهاء هذه العلاقة، أم يلحق بها، أو يترك الأمر ويكتفي باتصال ليعتذر لها؟، أمسك هاتفه حاول الاتصال بها ولكنه لم يستطع فاكتفى برسالة نصية كتب فيها بحروف مرتعشة «أنا آسف» وقبل أن يضغط زر الإرسال مسح الرسالة مرة أخرى وتتبع أحساسه وجلس يكمل قهوته وهو ينظر للا شيء.

تتحرك السيارة وتميل أمل برأسها على الزجاج الجانبي لها، تتذكر أول مرة أخبرها فيها بحبه لها، بأول مرة لمست يداه كفيها، بأول مرة يهاتفها بعد أن علم إنها تمر بيوم صعب وأخبرها بأن تنتظره أسفل منزلها، مر عليها بسيارته وأخذها دون أن يتحدث بكلمه واحدة.

طارق.. زميلها في العمل ومسؤول الـ HR وهو أول من رحب بها في الشركة التي تعمل بها منذ ثلاث سنوات، منذ أن رآها شعر بشيء ما يجذبه لها، غرق في ليل عينيها، أعجبته ردودها وكلامها وطريقة تعاملها فقرر فورًا أن تكون في الشركة وبدأت رحلته للتقرب منها.

وبعد فترة شعر بأنها تمر بفترة صعبة بسبب وفاة جدتها، وبعد أول يوم من عودتها رأى في عينيها شيئًا يعرفه جيدًا، ذاك الجمود الذي يخلفه الصمود، أمل لم تبكِ على فقيدتها، لن تستطيع أن تقاوم وستنهار في أقرب فرصة، فقرَّر أن تلك الفرصة يجب أن يكون معها فيها.

بحث عن أكثر شيء تستطيع أن تُخرج فيه غضبها.. نعم فالموت إمَّا أن يُخلِّف حزنًا أو غضبًا عندما لا نسمح لأرواحنا أن تنصاع له، ونحزن على من اختطفهم الموت من بيننا، عانى بحثًا إلى أن وصل لشيء يظن أنها تريد أن تفعله ولم تستطع.

Unleashed ذلك المكان الذي تدخله بكمٍّ الغضب والطاقة وتخرج منه فارغًا بعد أن تنطلق طاقتك في التكسير والصراخ في غرفة معزولة لا يوجد بها سوى أنت وأشياء قديمة تستطيع أن تكسرها إلى قطع صغيرة.

ركبت بجانبه ولم يتكلم بكلمه واحدة حتى وصلا، لم تسأله إلى أين سيأخذها ولم تبالِ بأي شيء فنظرت إليه بعين تلمع بدموع تأبى أن تغادرها، عندما دخلت أدركت أين هي فتركت له نفسها يسحبها من يدها ليدخلا إلى الغرفة سويًا، ساعدها في ارتداء الخوذة التي تحمي رأسها وعينيها من أي قطع تتطاير، وأعطاها مضربًا خشبيًا كبيرًا لتبدأ في تفريغ طاقتها، أمسكت المضرب بطريقة خاطئة فاقترب منها حتى أصبح خلفها مباشرةً، وأمسك يديها لتمسك به جيدًا حتى لا يؤذيها، أصبحت تشعر بأنفاسه الدافئة لتحتويها، ثم همس قائلًا بحنان بالغ:

- عايزك تخرجي من هنا أمل اللي أنا عارفها.. فهماني!

لم يخرج، لم يتركها وحدها مثلما تركها الآن، ارتدى خوذته وأمسك مضربه وبدأ كل منهما يضرب بكل قوته في الأشياء الموجودة، بين الثانية والأخرى كان ينظر لها وهو ينتظر هروب دموعها لتخرج كل ما فيها، صرخت بكل ما فيها من قوة للدرجة التي برزت فيها عروقها وانهمرت دموعها وهي تتحرك بين الأشياء التي تضربها بقوة كأنها تلقي بكل الحزن بعيدًا عنها، كانت المرة الأولى التي تبكي فيها أمام أحد فحاولت جاهدةً ألا يراها، فمسحتها فور هطولها قبل أن يلاحظ ذلك، لكنه سمع صراخها.

اطمأن لأنها تضرب بقوة، تصرخ بشدة وتطلق العنان لروحها، وعندما توقفت وهي منهكة والتعب يكاد يقتلها، كادت قدماها أن تخونها وتسقط أرضًا، فلحق بها وأخذها وهي تستند عليه وخرجا من الباب لتدخل أمل بمفردها هذه المرة، تنظر لهما وهما يتحركان

بعيدًا عنها في خيالها ترى طيفه وطيفها تراقبهما حتى يركبا السيارة ويبتعدا.

دخلت بمفردها هذه المرة، لم تبكِ، ارتدت خوذتها بمفردها، وبحركة أكثر احترافية أمسكت المضرب بمفردها وبدأت تضرب بكل قوتها وتتذكر الأيام الأخيرة التي شعرت بأن هناك شيئًا تغير بداخله، ولم يعد هو نفس الشخص الذي امتلأ شغفًا بها، هناك شيء مختلف به لا تفهمه وانتهى به إلى أنه لا يرغب الاستمرار معها.

هل هذا بسبب التعود! أم ثباتها الذي يجعل الجميع يهابها ويضعون لها ألف حساب!! أم لجنونها معه؟!

لكن! هذا الجنون كان سبب اقترابه منها، قوتها وجرأتها كانتا السبب الرئيسي لإعجابه بها وحبه الذي شعرت به يزداد يومًا بعد الآخر، ولكن هناك لحظة فارقة في كل شيء، عندما اعتاد كل شيء. أم عندما أخذ كل شيء منها قرَّر الرحيل!!

غير مبالٍ بأي شيء وكأنه لا يرى كم تريده وكم أصبحت حياتها تعتمد عليه بعد أن كانت هي أمل نفسها الوحيد في الحياة، لم تعتد أن تستند على أحدٍ في حياتها سواها، لا أصدقاء أو أقارب أو معارف أو حتى زملاء في العمل، حتى لو كان حبيبًا!. ولكنها كسرت كل قواعدها من أجله، ثم تذكَّرت أن عندما تكسر قواعدك من أجل شخص ما وتستثنيه، فهو أول شخص سوف يكسرك.

أخذت نفسًا عميقًا ثم رفضت ما قال «أنا مش هكمل»، لا لن يرحل بهذه السهولة، لم يدخل حياتها بسهولة ليرحل منها بثلاث كلمات،

رفضت إنهاء العلاقة بهذا الشكل، خرجت من الغرفة بعد أن أصبحت كومة رماد وألقت خوذتها ومضربها بعيدًا وتحركت خلف طارق وأمل اللذين غادرا المكان منذ قليل.

اتجهت إلى الشركة مباشرةً بعد أن نظرت في ساعتها وتأكدت من أن هناك وقتًا أمام طارق في الشركة قبل أن يغادر، دخلت والغضب يكسو ملامحها، توجَّهت إليه مباشرةً ووقفت أمام مكتبه، ثم سألته بنبرة هادئة محاولةً كتم غضبها:

- إنت بجد مش هتكمل؟

تفاجأ طارق من وجودها في الشركة مرة أخرى، توقَّع رحيلها إلى المنزل بغير عودة، طلب منها الجلوس فلم تخضع لرغبته، ظلَّت واقفة فتحدث.

- أكيد مش هنتكلم هنا يا أمل.

علا صوتها قليلًا ليخرج بعيدًا عن حدود المكتب الزجاجي، فحاول كبح جماحها لكنه فشل، لم يستطع أحد أن يهدِّئها مهما كان ومهما اقترب، في اعتقادها أن من يحبها حقًا يتركها لتفعل ما تريد ثم يعاتبها بعد ذلك، صرخت في وجهه غير مُبالية بتحديق الجميع لهما، لا تهتم إن كانت لن تدخل هذا المكان مرة أخرى بعد كل هذه السنين وبعد كل هذا المجهود الذي بذلته في هذه الوظيفة.

ثلاث سنوات من العمل المستمر، التعب والجهد والترقي أكثر من مرة لتصبح في مكانة حسدها عليها الجميع، امتلكت قلب طارق الذي تمناه الجميع، ما لم يكن يتوقعه الجميع أن ينفصل الثنائي

الأكثر تميزًا في الشركة، الثنائي الأكثر تفاهمًا للدرجة التي جعلتهما يتعاملان بالنظرات في أحيانٍ كثيرة دون أن يتحدثا.

غادرت بعد أن رمقته بعينيها وهي تتوعَّده أنه سيدور حول نفسه مرارًا وتكرارًا؛ حتى تعود له ولن ترضى، وأنه سيعاني كثيرًا كالمرة الأولى التي ارتبط بها فيها لكنها في هذه المرة لن تقبله حبيبًا ولا صديقًا، سيشعر وكأنه لم يكن في حياتها، كانت صديقتها تقف بعيدًا ولا تستطيع أن تقترب منها في هذه اللحظة، تعرف جيدًا ما تعاني منه أمل وتدرك جيدًا كمَّ الغضبِ الساكن داخلها، شعُرت بالخوف فلم تقترب إلا عند خروجها من المكتب، فاقتربت منها وتحركت بجانبها وهي تضمها إليها خارجتين من الشركة دون الالتفات إلى أي شيء خلفهما.

***

صمتت قليلًا عما كانت تحكيه لعبد الله، ثم قالت:

- عارف المشكلة فين يا عبد الله!

نظر إليها بعين لا تصدق ما تحكيه ولا يصدق أن هذه أمل، لا يستطيع أن يستوعب أن هناك من هو بالغباء الكافي ليقرر أن يترك ذلك الندى الذي يتساقط من السماء مباشرةً على القلوب حتى بعد ما فعلته معه في الماضي، هزَّ رأسه لها لتتابع فقالت:

- أنا كنت مرعوبة أصلًا إن أي حد يدخل حياتي تاني.

قالتها وهي تتحاشى النظر في عينيه، قاطع حديثها بابتسامة

آسفة على ما حدث في الماضي ثم قال:

- الحياة مش بتقف وأديكي كملتي وحبيتي تاني.

- وياريتني ما حبيت أنا كنت بس خايفة، خوفت وضيعت فرص كتير متتضيعش، هو الوحيد اللي قولت هبدأ، هدخل العلاقة زي مانا من غير ما اتجمل لأن إنت عارف إني أصلًا مبحبش أكون غير أمل، حبني زي مانا، حب كل حاجة فيا جناني وجرأتي ولساني الطويل.. كل حاجة يا عبد الله.

لمعت عيناه، أراد أن يخبرها بأنه لم يحبها أحدٌ مثله، لكنه فضَّل الصمت فتابعت:

- بدأت ومخلتش أي حاجة ممكن تتعمل ومعملتهاش وكانت النتيجة إيه!

خرج عن صمته أخيرًا:

- محبكيش يا أمل.. مشافكيش من جوه وطول الوقت كان بيحاول يقبلك بس معرفش، عارفة الحب مش محتاج مجهود عشان يستمر.

كانت هذه نظرته للحب منذ أن شعر بشيء يخفق خلف ضلوعه.

الحب هو أن تُحب شخصًا، أن تتقبله وترى عيوبه ولكنك تقبلها، يسيطر عليك الإحساس الأروع في الحياة.. أنك سعيد، تلك السعادة الصافية برؤيته، بوجوده في محيطك، بكونه يتنفس من نفس الهواء الذي تتنفس منه، لا يهم ما الذي ينقصك في وجوده؛ لأن في حضرته

يكتمل كل شيء في عينيك.

الحب.. هو الراحة رغم التعب والمجهود المبذول، هذا الإحساس الذي يُهوِّن عليك مرارة الحياة التي ترفضها، لكن وجود الشخص الذي تسعد عيناك لرؤيته تشعرك بالراحة أكثر مما تتخيل تتابع شفتيه وهو يتحدث، عينيه وهما تتحركان يمينًا ويسارًا لترى الأشياء بنظرة مختلفة وكأنك تحسد تلك الأشياء التي تقع عيناه عليها.

أمل.. الحب، اللعنة، الجنة، الراحة، السعادة والحزن في عينيها. كانت كل ما يمكن للمرء أن يكتسبه في الحياة لكنها لم تفتتن بأحد رغم كونها الفتنة نفسها، أحبت وعشقت وبذلت كل ما تستطيع الأنثى أن تبذله ويالللغباء «أنا مش هكمل»، قال ألفاظًا بذيئة في رأسه دون أن تخرج من شفتيه، كانت تراها في عينيه وتبتسم لأنها تعلم ما يدور في رأسه كأنهما تركا بعضهما أمس، نظر لها لتتابع سرد حكايتها لأنه يريد أن تظل تتكلم حتى تفنى الأرض وما عليها.

***

الصدمة..

هذا الشعور بالعجز الذي يصيبك نتيجة صدمة كبيرة في قناعات أخذت وقتًا كبيرًا لتصبح دستورًا تسير عليه في حياتك، قناعات تخبرك بأنك مع الشخص الصحيح بعد خوف مستمر من علاقات خضتها ولم تحصد فيها إلا الخذلان المستمر وجعلتك تخوض معارك لا تناسبك، وقلبك يخبرك بأنه العوض الحقيقي لكل هذا الخوف.

استجابت أمل لما حدث، صدمة قوية أشعرتها بالعجز عن فعل

أي شيء، تملَّك منها الخوف الذي كانت قد تناسته، احتلها الإرهاق والألم الشديد دفعةً واحدةً، فقررت الهروب لكنها الآن تحاول الهرب من نفسها التي قرَّرت أن تجلدها على ما حدث لأنها هربت كثيرًا من الحب.

كل ما تشعر به هو الخوف من هذه اللحظة، لحظة الخذلان والرفض والتخلي، كلها مشاعر موجعة تكاد تفتك بها، فلمَ هو بالذات من سلمت له مشاعرها طواعية غير مبالية بكل الخوف الذي بداخلها!! فلا تجد إجابةً على هذا السؤال!! القلب يستطيع أن يبعدك عن أكثر الناس حبًا لك؛ لأنه لا يرتاح معهم ويلقي بك في غياهب جبِّ عينين يريدهما ويقرر خوض التجربة وهو موقن من أن النهاية ستكون مختلفة ولكن هيهات.. اللعنة! وهل نسمي ثلاث سنوات من العمر تجربةً! عندما يمر بك الوقت بصحبة أحدهم تشعر بأنه أصبح قانونًا، تنسى كيف كانت حياتك قبل أن تلتقيه فلم تكن تجربة بل صفعة مدوية على الوجه.

دخلت غرفتها مباشرةً دون أن تتحدث مع أحد، أغلقت الباب بالمفتاح ولم تستجب لأي نداء لها، حاولت صديقتها وزميلتها في العمل (نيروز) التي لم تعتد أن تتركها في أي حالة تمر بها ولكنها أوصدت أي طريق يجعلها تصل إليها من خلاله، اتصلت عليها كثيرًا لكن دون رد، تنتظر أن يتصل بها طارق ويخبرها بأنه لا يقصد ما قال! أن يعبر لها عن أسفه الشديد عندما نطق بتلك الكلمات، أنه كان غاضبًا من شيء ما ويريد أن تسترضيه، أو أن يخبرها بأنه لم يستطع فراقها وأن مجرد تخيل الفكرة يجعلها مستحيلة، ولكن كل هذا لم

يحدث.

تشعر بالبرودة في قلبها وجسدها وجميع أطرافها، أصبحت في ثوانٍ تشعر بأدق التفاصيل، ألم يُذيب قلبها ويعصره عصرًا كأنها النار تأكل كلَّ شيء حولها، بداخلها صراخ مكتوم ولا تستطيع إطلاق سراحه، كتمت أنفاسَها في وسادتها وصرخت بداخلها وتركت كل الدمع المكتوم بعينيها لكي يُغرقها فلم يقطع بكاءَها الدامي أي شيء ولا طرقات الباب ولم ترد على أي حد، حاولت تمالك نفسها لتبث الطمأنينة في قلب والديها.

-أنا تعبانة شوية وهنام، محدش يصحيني.. سيبوني أصحى لوحدي.

حاولت النوم ولكنها لم تستطع في كل دقيقة كانت تمسك هاتفها لعله يهاتفها تفتح محادثتيهما لعلها تجده متصلًا، لعله يكتب إليها، وكل هذا لم يحدث أيضًا فتعود تستجدي النوم وتتحرَّق شوقًا إلى أن يأتيها فتغفو وتسقط بين يديها بدلًا من أن تسقط بين براثن شوقها إليه فتحادثه، استسلمت إلى تقلبها في فراشها حتى نامت نومًا متقطعًا خاليًا من الأمان والطمأنينة، كيف هي أول ليلة تنام فيها بدونه، بدون أن يكون متواجدًا في حياتها وبدون أن تستمع إلى صوته، يا للقسوة التي تشعر بها ولا تتخيلها، أغلقت هاتفها في محاولة منها أن تتوقف عن انتظاره حتى لا ترى ولا تسمع أيَّ شيءٍ عنه، شيءٌ بداخلها يدعوها للمكابرة ويجعلها تلجأ للعزلة، أصابها العجز مرة واحدة؛ لأنها لم تتوقع أن يحدث لها ما حدث، تُصبِّر نفسها بنفسها، تنام وتستيقظ لتذهب للحمام فقط وليشعر الجميع حولها

بأنها بخير ولكنها ليست كذلك.

جاء اليوم الثاني عليها وهي لا تزال غير مُصدِّقة لما حدث، تناست القوة التي ادعتها حفاظًا على كرامتها وأمسكت الهاتف تفتحه لعلها تجد منه أي رسالة تخبرها بأنه كان يبحث عنها، وأن القلق عليها قد جعل منه فتاتًا، ولكن الخيبة تأتيها من جديد، لا شيء سوى صديقتها نيروز التي وجدت منها رسائل عديدة من محاولاتها الاتصال بها ثم رسالة تخبرها بها أنها في طريقها إليها، وبالكاد فتحت لها الباب وسمحت لها بالدخول، كانتا صديقتين مقربتين وزميلتين في العمل، كانتا كالشمس والقمر مجتمعين في مكان واحد.

نظرت نيروز إلى صديقتها مندهشة مما ترى، أمل تقع في هذه الحالة بهذه السرعة، هذه ضريبة القوة المفرطة، ضريبة أن تكون مريض اللامبالاة المستمرة فيتخيلك الجميع آلة حديدية لا تشعر ولن تقع مثلهم في آبار الألم وتغرق بداخلها، لا أحد يسمع صوت صراخك، ولا أحد يستطيع أن يغيثك من وحشتك.

دائمًا هي السند الذي يطمئن الجميع، الحياة تناديها دائمًا لتكن بجانب الجميع، تلقي عليهم نصائحها أن لا فائدة من أي حزن، لكنها الآن تقع في شَرَكِ كلِّ شيء تهابه وحذرت الجميع منه، تشعر بأنها لن يخرج الصباح عليها من شدة الألم فلم تسأل، لكن عيناها ترجوان أن تجد الإجابة في عيني صديقتها.

- مسألش عليا، لما جه الشغل وملقنيش في الشركة عمل إيه؟

بدأت نيروز تحكي ما حدث اليوم في العمل، لم يكن هناك ما يثير

فضول أمل أو يخطفها من هذه الحالة؛ فلم يقم طارق بأي شيء غير الذي يفعله كل يوم، قالت نيروز وهي تحتضن صديقتها:

- كلنا مستنيينك تنزلي الشغل بكرة يا أمل.

تتمنَّى أن تستطيع فعل ذلك، تركها طارق بعد أن وعدها بأنه لن يتخلى عنها أبدًا، وأنها لن تندم على ظهورها بهذه العفوية والجنون أمامه للأسف، تلك هي الحياة يستغل الجميع كل نقاط ضعفك في حالة زهدهم إياك ويتركونك ويلقونك بأقصى قوة بعيدًا عنهم بعد أن بذلوا جهدًا كبيرًا في محاولاتهم للوصول إليك، كانت تعلم أن هذه هي الحالة التي ستصيبها عندما تترك طارق أو يتركها هو أو عندما يتركهما الشغف، وبالفعل هذا ما حدث، تركهما الشغف، الايمان، الحب بكل تفاصيله، وقرَّر أن يدخل في خصومة معهما، لكن من المنتصر؟! لا أحد، الجميع خاسرون، خسرت أمل أجملَ أيام عمرها مع شخص لم يُقَدِّرْ حبَّها له، وخسر طارق كلَّ شيءٍ ولن يُعوضه هذه الخسارة شيءٌ. تابعت نيروز تحكي ما حدث في الشركة في غيابها تفصيلًا.

يجلس طارق في مكتبه يرتدي بدلة فاتحة ورابطة عنق سوداء، ويتعامل مع كل شيء بشكل عملي بحت كأنه لم يحدث أي شيء، ومن حاول أن يتكلم معه فيما حدث بالأمس نهاه بصرامة واضحة، ليقول محاولًا أن يداري خوفه من وقوعه في الخطأ:

- الشركة للشغل وبس.

***

ابتسمت أمل بألم وهي ترتشف قهوتها، فقالت وهي تضع القهوة

مكانها:

- الوجع اللي كنت بتجنبه وقعت فيه بكامل إرادتي وكأني كنت بكفر عن ذنب.

صمتت قليلًا بعدما شعرت بأن كلماتها ستصيب قلبه ثم أكملت:

- عن ذنبك.

نظر عبد الله إلى موضع يديه قائلًا:

- أنا عمري ما فكرته ذنبي فمتلوميش نفسك خليكي أمل اللي أعرفها.

نظرت في الفراغ قائلة:

- لا يا عبد الله، مبقتش أمل اللي كنت تعرفها من سنين.. أنا اتغيرت محدش بيفضل على حاله.

كان يراقبها وهي تتحدث ويشعر بألمها الذي شعر به من قبل، لم تغِب عيناه عنها وهي تتحدث وكأنها طفل وجد أمه بعد أن تاه منها سنواتٍ كان معها بكل طاقته التي يمتلكها وحتى المُهدرة، حديثها امتلك كل جوارحه وهو لا يستطيع أن يشرد عنها ثانية، إنها أمل بعينيه، أنثى رقيقة، بها جنون طفلة تمرح كيف تشاء ولا تستطيع أن توقفها حتى وإن ارتكبت العديد من الأخطاء تمنح البهجة لمن حولها، تَشُعُّ منها الحياة فلا مجال لأن تيْئَس وأنت بصحبتها، ورغم ذلك هادئة تسمعك وتفكر معك في كل شيء، حنونة عندما تحب، وشرسة عندما تغضب، تمتلك من الاحتواء ما يجعلك تشعر بأنك لم تتألم

يومًا، هي الإثبات القاطع عن الفرصة الواحدة التي لن تُكرَّر، وكأنَّها ليلٌ طويلٌ ينيره قمر الحياة، تابعت وهي ترى نظرة عينيه:

- أنا لما شوفتك رجعت بالوقت وكأن معداش علينا تلات سنين وده أحسن حاجة حصلت عشان أنا نازلة من البيت مقررة أسيب أمل اللي اتغيرت دي لأني محبتهاش... محبتش ضعفها.

نظر إليها وهو يتأملها مرة أخرى ثم قال:

- مش مهم السنين اللي عدت المهم إني لقيتك تاني.

صمت قليلا ثم استكمل:

- عارفة... أنا واثق إن النهاردة هيكون بداية جديدة ليكي وإنك خلاص خدتي القرار إنك متزوديش يوم واحد في الوجع ده.

سكت قليلًا مرة أخرى وكأنه يحاول أن يعطيها قوةً وهو لم يمتلكها يومًا بعدما تركته ولا يزال يتألم من فراقها ثم تابع:

- وأحسن حاجة عملتيها إنك سمحتي لنفسك بإنك تزعلي وتعيطي وتغضبي وتعلني الحداد على كل حاجة حصلت قبل كده في الفترة دي، عشان لما تخرجي منها تخرجي أقوى، أشرس.

ضحك ثم ساد الصمت لثوانٍ فأصرَّت أن يُكملَ، فتابع:

- وأجمل.. رغم السنين اللي عدت لسه جميلة زي ما إنتي.

نظرت له بيأسٍ ثم قالت:

- تفتكر!! أنا مش عاوزة إجابة، أنا عارفة إنت شايفني إزاي، خليني

أكملك بقية الوجع اللي أنا عارفة إنك مريت بيه في يوم من الأيام.

رفعت القهوة إلى شفتيها ولثمت حافته لتترك أثر أحمر شفاه ثم تابعت تحكي.

***

كانت المرة الأولى التي تبكي فيها أمام أحد لكنه لم يرَ دموعها، مسحتها فورًا قبل أن يلاحظ ذلك لكنه سمع صراخها، رغم قلقه عليها اطمأن لأنها تضرب بقوة، تصرخ بشدة وتطلق العنان لروحها، أخذها وخرج من الباب وركبا السيارة مرةً أخرى ثم تحرك مباشرةً إلى أكثر الأشياء التي تمنَّت أن تفعلها ولكنها لم تجد من يُشجعها، فكَّر مع نفسه قليلًا هل يخبرها بوجهتهما أم يتركها تتفاجأ بما خطَّط لها، كانت فترة التلميحات قد طالت ولا مجال أن تستمر أكثر من هذا، تعرف أمل أنه يُحبها لكنها تجاهلت تلك المشاعر التي يُلمح لها بها، أغلقت قلبها ولا تريد أحدًا أن يحتله من جديد واكتفت بها فقط بدون أن تعانيَ من جديد، لكن! استطاع طارق بفعل أشياء أحبتها أن يتقرَّبَ منها بكل ما يحمل من طاقة، ومع الوقت وعمرها الذي زاد عن أيام الجامعة وخوفها من أن تظل وحيدةً إلى آخر العمر، تركت نفسها له ليُبحرَ بها إلى عالمٍ خافَتْ منه كثيرًا ولم تتخيَّل أن تفيق على كل هذا الألم.

خرج من القاهرة إلى الطريق الصحراوي، وهي تنظر له من دون أن تتكلم، أخرجت هاتفها وأرسلت رسالةً إلى والدتها أنها ستبيت عند صديقتها، ثم أرسلت إلى نيروز على الـ(whatsapp) «أنا رايحة

إسكندرية وماما عارفة إني هبات عندك» ثم أغلقت هاتفها؛ لأنها لن تستطيع أن تتناقش مع صديقتها في أي شيء، تركت رأسها للزجاج الجانبي للسيارة وطارق يتحرك بسيارته بأقصى سرعة، يضرب الهواء وجهيهما وقلبيهما ويبعثر مشاعرهما بفوضوية لم تُحبها أمل قبل ذلك لكنها تحاول أن تبدأ مع من! فجأة قفزت أمام عينيها صورةٌ قديمةٌ لحبيبٍ قرَّرت الرحيل عنه منذ سنوات كثيرة مضت، أزاحتها بيديها بصورة واضحة جعلت طارق ينظر إليها ولا يعرف ماذا تبعد من أمامها، قرر أن يلقي ثالث كروته ليحكم قبضته على قلبها باهتمامه بأدق تفاصيلها، قام بتوصيل هاتفه إلى سماعات السيارة وترك الكلمات السريعة تخرج منها إلى قلب أمل مرة واحدة.

«فش اشي فالدنيا كلشي شوف كيف لون أسود كحل وعتمة وأنا نازل عقلنديا ودعتني وأنا نازل عالمعبر ودعتني إذا بحط إيدي فجيابي فالقطار رح يشك في طعنة نص ساعة الطعني تفتيش عالواقف حسس عبطني سكاكين مش لاقي بس راح عبطني» دون أن تنظر وهي تتابع بعينيها اللاشيء بالخارج تحدث.

- ده إنت مذاكر بقى.

- فلسطيني ده!

ابتسمت، نظر لها طارق في المرآة التي صوبها نحوها فابتسم هو الآخر وتابع ضغطه على البنزين والكلمات السريعة ذات المعاني التي تلامس القلب تستمر في التدفق من السماعات الخارجية للسيارة، وصلا إلى الاسكندرية، كانت هادئة وشديدة البرودة، تناول طارق

رداءً شتويًا من المقعد الخلفي وأعطاه لها لترتديه.

- جعانة ولا نقعد ع البحر شوية؟

حاولت أن تختبر ذكاءَه قليلًا فلم ترد.

- أنا عارف إنك بتحبي البحر أوي بس أكيد جعانة، أنا نفسي هموت من الجوع.

لم يتوقف بالسيارة على البحر، تحرك مباشرةً إلى حلقة السمك، وجد أحدهم يشاور لهما بأن يقفا أمام مطعمه لكنه تخطاه وتحرك إلى آخر بعينه، ركن سيارته ونزل منها ودخل إلى الطاولة التي تواجه البحر مباشرة، كانت تتحرك خلفه ولا تتحدث، أشياء كثيرة تحدث في الساعات القليلة الأخيرة تلمس قلبها تطمئنها تجاهه، وكانت المفاجأة أن الطاولة عليها الطعام معدًا من قبل، جاهزًا وساخنًا وفي انتظارهما.

شكر طارق العامل وربت على كتفه وحرك لها كرسيًا إلى الخلف لتجلس وهي تحمد الله على الرداء الذي أعطاها إياه، الهواء شديد ومن دونه لم تكن لتتحمل الجلوس أمام البحر في هذا الوقت، أجلسها وجلس بجانبها حتى يترك لها مساحة لترى البحر وهي تتناول طعامها، كانت تجلس وتلف ذراعيها حول نفسها وهو يعرف أنها لم تتعلم أكل السمك.

- يلا ناكل!

هزت رأسها في إيجاب وبدأت تأكل من الأرز والسلطة الخضراء

ولم تقترب من السمك، ابتسم ثم بدأ يأخذ السمك من أمامها ويقوم بإزالة الشوك من اللحم ويضع قطع اللحم لها أمامها حتى تأكل، نظرت له لترى في عينيه حبًا وحنانًا طمأنانها.

- عملت كل ده إمتى؟

هزَّ كتفيه في خجل فتابعت.

- إزاي قادر تبهرني كده في كل حاجة من أول يوم دخلت فيه الشركة لغاية دلوقتي.

- لما شوفتك يا أمل حسيت إنك البنت اللي مستنيها طول العمر اللي فات وهي اللي عايزها تشاركني كل اللي جاي.

ورغم أن أمل اعتادت ألا تتأثر بهذه الكلمات لكنها لمست شيئًا داخلها، الجوع للمشاعر والحب في أقصى لحظات الضعف، فكان وصوله لأدق نقطة داخل قلبها وأنارها، بل طمأنها... رأى في عينيها ما يريد، تجرأ بأن يعترف لها بحبه أمام أكثر شاهد على قصص الحب في التاريخ؛ البحر الذي حفظ جميع الأسرار ولم يبُحْ بها حتى الآن، لا تعلم لماذا هي مستسلمة لكل ما يحدث! هل هذا نتيجة صدمتها بفراق جدَّتِها التي كانت قريبةً منها إلى حدٍ كبير؟ أم لتعبها من الوحدة ورغبتها في تذوق الحب بعد أن هجرته منذ زمن؟!

قالها طارق (أحبك)، همس بها لتسمعها جميع الموجودات حولهما؛ البحر، السماء، والرمال... وأمل، أعلنها أمام الجميع أنه يُحبها، لم تكن الكلمة فقط هي الاعتراف بحبه لها فكان وجوده بجانبها في أحلك اللحظات الماضية هو خير دليل، صدَّقته، تركت قلبها يتنفس

ويتحرك خطواتٍ تجاهه، ويدق لأول مرة ناحية الشخص الوحيد الذي استطاع أن يرى أمل كما هي، أو كما كانت تظن.

انتهيا من تناول السمك ومسح يديها بمناديل مبللة بيده، دلَّلها كطفلته التي لم ينجبها ثم أخذها وتحركا على أقدامهما إلى البحر مباشرةً بعدما ضمَّها إلى صدره، أخرج من جيبه زجاجةً صغيرةً وورقةً وقلمًا وكتب كلمةً، ثم ناولها الورقة والقلم وطلب منها أن تكتب شيئًا، كان الموقف غريبًا ولم تتوقع أمل أن تكون عاطفية لهذه الدرجة، كانت تريد جنونًا، شرودًا وحبًا من نوع آخر لكنها أحسته، وعلمت أنه سيحب ذلك فكتبت كما كتب: «إلى الابد، وما بعد الأبد بأبد».

أغلق طارق الزجاجة وألقاها في البحر، ثم أمسك يديها وترك أصابعها تتشابك مع أصابعه ليتلامس نبضهما سويًا ويحكي البحر قصتهما يوم أن يتحدث، ويخبر الجميع بأنهما صارا سويًا إلى الأبد.

***

2

تجمعت الدموع في عينيه وبقوة حبسها، لم يطلق لها العنان وهي تحكي وتدوس على قلبه بقدميها، كل هذه المشاعر التي تحكيها، ولكن! لعنة الحب تسيطر على قلبه وعينيه، شعرت كم آلمته كلماتها ورأته يأخذ نفسًا طويلًا وهو يحاول أن يبتلع دمعه المتجمع على حافة عينيه قبل أن تخذله دموعه أمامها، قال مداريًا حزنه وبابتسامة مصطنعة:

- لما بكون مش نايم كويس عينيا بتدمع لوحدها.

لم تجادله ولم تخبره بأنه يكذب كعادتها من قبل ذلك بسنوات، استكملت حديثها حتى لا تفتح جرحًا قديمًا سبَّبَته له وتجاهلت وجعه، واستطردت في حديثها:

- صدقته يا عبد الله... صدقته وتخيلت إن خلاص أنا هعيش فعلا للأبد مش هموت من أول صدمة كده.

تناسى ألمه ووجعه، وأمسك يدها وربت عليها بهدوء وحنان:

- متقوليش كده أنا جمبك وهتعدي كل ده... إنتي أمل.

أعادت لها كلماته ثقتها في نفسها مرة أخرى بعد أن فقدتها في الثلاثين يومًا الماضية، كانت تنظر له كأنها تراه لأول مرة.

اللعنة على «النصيب» تلك الكلمة البعيدة التي فرقت بين قلبيهما قبل سنوات وترى الآن الأمور بنظرة مختلفة، نظرت في عينيه اللامعة من أثر احتباس الدموع بها، ثم تابعت تحكي شعورها وما

عاشته في السنوات الماضية وهي تتذكر شعور عبد الله تجاهها قبل ان ترحل عنه .

***

شعور الصفعة المفاجئة لا يزال يتملّكُها رغم أنَّ كل شيءٍ يُجبرُها على التصديق، ولكن العقل لا يستطيع أن يعيَ كيف يشعر القلب عندما يُشَق إلى نصفين من أثر الغياب.

لم تغادر المنزل، الغرفة، سريرها، سهرت ليلها تكتب وجعها بحبر يشبه الدم، فهي الآن في خضم حرب باردة بين طرفين هي وقلبها... هي ونفسها يخوضان حربًا باردة ما بين ما تريده وبين كرامتها، ولازالت الأسئلة التي ليس لها إجابات تتردد بداخلها، وما الذنب الذي اقترفته لتشعر بكل هذا الخذلان!! بعد الفراق ترفض الذكريات أن تتركها بمفردها وإن حاولت جاهدةً الهروب منها، فكيف تهرب من أكثر الأشياء التي استمتعت بها في حياتك القصيرة، والأهم لماذا تهرب منها وتلك الذكريات هي ما أبقاك حيًا لفترة من الوقت وكنت ظننت أن قلبك لن يستطيع أن يحيا من جديد!

نامت وكان الليل يبكي على الألم الذي يعتصر قلبها وما تعاني منه، بعد الفراق عليك أن تتأقلم أن هناك جزءًا منك قد غادرك ولن يعود مرةً أخرى، فعليك أن تتحملَّ ألمَ خروج روحك من جسدك بغياب أحدهم عنك، وعليك أن تتعايش مع جرحك الذي لا تعلم كيف ومتى سيطيب.

لم تكن يومًا تميل للوحدة لكن اختارتها لتعلن بداية الفراق فسكن

الوجع وريدها، صاحبها الليل وسواده لتبدأ رحلةً موجعة، ومشهدٌ أخيرٌ يسيطر عليها، ظلَّت بمفردها تتألم وتنتظر بكبرياء أن يتصل بها، يراسلها يخبرها بأنه يفتقدها ويريدها في حياته مرة أخرى، تحولت في أربعة أيام فقط من أمل المشرقة التي كانت تشع بهجة إلى ورقة ذابلة ملقاة على سرير خشبي في غرفة مظلمة، كتب الوجع على كل السطور المتاحة، بل اختلق سطورًا ليكتب عليها ويدهس بكل طاقته ما تبقى منها، اسودت ملامحها من الألم وكأن سواد الليل كسا ملامحها.

ليس هناك شيء قادر على أن يطفئك أكثر من حزنك على فراق نفسك، تشعر بأنك غريب عنك تنظر في مرآتك فلا تتعرف عليك، وتتساءل من أكون؟ بل من يكون هذا الشبح الذي أراه أمامي؟ ثم تستفيق على صوتك وهو يقول: «أنا حزنك المختبئ بداخل قلبك، أنا الشبح الذي تركه البعد خلفه، أنا نسختك الجديدة بدون من فارقك للأبد»، تشعر بخيوط الألم تلتف حول رقبتها ولا تستطيع النجاة، فتحت هاتفها ودخلت على حسابه الشخصي لترى ماذا يفعل فلم يقم بنشر أي شيء لكنه متواجد ويتفاعل مع الجميع، خرجت سريعًا حتى لا يزيد ألمها.

أمسكت هاتفها وبدأت تتصفح صورهما التي جمعتهما سويًا وبدأت تكبر صورته أكثر لتشاهده عن قرب وتسأله بعين داميةٍ من البكاء لماذا؟! وماذا فعلت حتى تتركني هكذا!! أمطرته بالعديد من الأسئلة التي لا تعلم إجابتها، وتسمع صوته في أذنيها وهو يعتذر لها، ووهم صوته وهو يخبرها بأنه من المستحيل أن يبتعد عنها وأنه أخطأ للمرة

الألف، تسمعه يعتذر لها ويحاول أن يسترضيها ولكنه في الحقيقة لم يفعل ولن يفعل، ترمي هاتفها بعيدًا غير قادرة على رؤية تلك الصور التي جمعتهما سويًا، لم تعد قادرة على الحنين له الذي أصبح يفتك بها إلى تلك السعادة الوهمية التي كانت تعيشها معه، ومازالت في الصدمة التي تعلم أنها بعد كل هذا الحب وبعد كل هذه المشاعر لن تخرج منها قريبًا ولن تخرج منها سالمة.

هل هذه نهاية الطريق؟ كانت تسأله في خيالها، ولكن هناك شيء أهم من كل هذه المشاعر المتداخلة فيها، شيء واحد غريب وهي لا تشعر بأي شيء... تائهة.

تدخل على الرسائل التي بينهما وتكتب كلامًا كثيرًا وتمسحه، فتسأل نفسها:

- هو أنا بجد مش من حقي إني أكلمه؟

كانت لا تستطيع أن تميِّزَ المكانة التي هو فيها الآن، هل هو أفضل شيء جاء لحياتها، فهي الآن تبكي على فقدانه! أم هو أسوأهم فتبكي على ثقتها فيه وتركها لمشاعرها بين يديه؟ لا تستطيع الإجابة! مشاعر التيه والوقوف في المنتصف لا تعلم أين أنت مرحلة اللا إجابة، وعلامات الاستفهام التي تملأ رأسك فتنهك عقلك، لم تكن تعلم أن ألم المشاعر لا يمكن للعقل أن يستوعبها ولا يجد الإجابة على تلك الأسئلة التي تتقاذف بداخل رأسها، العقل لا يستطيع أن يجيب الأسئلة التي تنبع من القلب، ولا يستطيع تخفيف الألم، ولا يستطيع أن يفعل أي شيء، فكان عليها أن تدرك ذلك.

نامت مرة أخرى وهي ترجو من الله أن تحلم به، تراه يحتضنها ويضمها إلى صدره بقوة، أو يبتسم فقط ليذهب كل هذا الوجع إلى الجحيم، استيقظت مرة أخرى وأمسكت الصور التي لا تملك غيرها لتجري الذكريات الكثيرة عليهما سويًا.

المؤلم أنه لا يوجد من هذه الذكريات مهربٌ، أو ربما لأنها لا تريد الهرب لأنها ملاذها من وحش الحنين الذي يحكم قبضته على قلبها، فكرت في أن تحذف تلك الصور وحتى وإن فعلت فهي ثلاث سنوات محفورة في قلبها، كانت مرحلة الصدمة قوية عليها، خاصةً أنها لا تعطي لأحد فرصة أن يكون بجانبها أو لا تريد أن يراها أحدٌ بهذا الوهن والضعف.

بكاء مستمر إلى الصباح، بكاء بين الصور التي تراها والفيديوهات المرحة التي جمعتهما، تثبت الصورة على ضحكته وعلى نظرة عينيه لها، المشاعر القاتلة والرسائل التي تُكتب وتُمسح أكثر من ألف مرة، قراءتها لرسائله لها وكل كلمة حب قالها لها، وقرأت محادثاتهما العديد من المرات وتسمع تسجيلاته الصوتية لها عندما تشتاق إلى سماع صوته، كيف كانت نبرة صوته يملؤها الحب والشوق، كيف كانت لهفته عليها وشغفه بها الذي لا ينتهي، تبكي وتبكي ولا تعلم على ماذا تبكي! عليه أم على سذاجتها، لا تعلم كيف وهي التي كانت القوة لكل من حولها تكون بهذا الضعف أمام ذكرياتهما سويًا، والخوف من الوحدة يكاد يجثم على صدرها فيخنقها، جبل كبير قد شُيِّد وارتكن على صدرها لا تستطيع التنفس منه.

نامت مرةً أخرى وهي لا تريد أن تستيقظ وتستغرب جدًا أمرها،

كيف تحوَّلت إلى هذا الضعف، نامت تاركة كل شيء حولها كما هو، يراه الجميع بألوانه وتراه هي أسودَ قاتمًا، اللعنة على الحب الذي يستطيع أن يريك السواد مبهجًا والألوان سوداء قاتمة. أيقظتها «لطيفة» والدتها لتتناول معهما وجبة الصباح فحاولت أمل أن ترفض، لكنها صممت لما رأته على وجهها من ذبول.

- مالك يا أمل؟

مثَّلت أنها بخير وأخبرتها بأنها تمر بأيام صعبة في العمل، جلست أمل على الطاولة مع والدها ووالدتها، وكانت تراهما لكنها لا تسمع أيًّا منهما، تهزُّ رأسها على ما يقولان فقط في مجاملة عائلية صباحية، ولم تستطع أن تتناول أي شيء، كانت تمسك الشوكة وتلعب في طبقها فقط لا أكثر.

فهم والدها ما بها فكان أقرب إليها من والدتها رغم حب أمل لوالدتها كثيرًا، لم يغادر إلى عمله ككل يوم، فقال وهو يتحرك ناحية الشرفة.

- اعمليلي كوباية شاي من إيدك يا أمل وهاتيهالي في البلكونة.

كانت تشبهه كثيرًا، فكان قليل الكلام لكن إن تحدث قال ما يصيب لبَّ الموضوع، رأى في ملامحها وجعًا كبيرًا ولم يُصدق كلام والدتها عندما أخبرته بأنها تعاني من مشاكل في العمل فهو عمل كثيرًا ويعلم مشاكله وتأثيره على الجميع... أمل تعاني من شيء أكبر ويريد أن يكون بجانبها.

أعدت أمل الشاي ووضعته أمامه وكادت تهم بالرحيل فطلب منها

الجلوس بجانبه، لم ترفض لوالدها طلبًا من قبل فجلست وهي في قمة الإرهاق، لا تريد أن ترى الشمس، وكان حمل ثقيل على كتفها أن تسمع من والدها كلامًا تعرفه جيدًا، لكنها لا تستطيع أن تنفذه في هذه الحالة رغم فرق السن بينهما إلا أنه كان قريبًا من تفكيرها ويعلم ما تمر به، كان مرنًا ويشعر بها ويحبها، فهي ابنته الوحيدة.

- تعرفي إنك شبهي في حاجات كتير رغم إنك طالعة حلوة لأمك.

لم تستطع أن تبتسم فقالت وهي تقصد ما تقول:

- إنت جميل جدًا يا بابا وياريتني أصلًا طلعت شبهك.

كانت في حالة صعبة، تتكلم بصعوبة وتأخذ أنفاسها بصعوبة، قال الوالد بحنان:

- هقولك سر بس توعديني إن أمك متعرفوش.

شد انتباهها بهذه الكلمات فانتبهت، فتابع:

- تعرفي إني كنت متجوز قبل ماما وكنت بحبها أوي.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تعرف فيها هذا الكلام، لكن ما لا تعرفه أن والدتها تعلم ذلك، تلفَّتت حولها حتى تتأكد أن والدتها لا تسمعهما، وهو يتابع:

- بس هي قررت تمشي بعد ما اتجوزنا بـ6 شهور، مرتاحتش وكانت صريحة معايا وطلبت الطلاق، أنا احترمت رغبتها واليوم اللي طلبت فيه ننفصل كانت آخر يوم على ذمتي.

ارتشف رشفة من الشاي، ثم تابع:

- اتوجعت بعدها أوي وانعزلت عن الدنيا كلها وبكيت عليها كتير أوي بس بعد فترة خرجت من الحالة دي أقوى من الأول بس برضو مش ده اللي عايز أقولهولك.

ساد الصمت للحظات وكأنه يتذكر شيئًا ما، ثم قال:

- باللي عملته ده وكسرتها لقلبي عملت حاجتين أهم من بعض، الأولى عرَّفتني قيمة نفسي عند نفسي وقد إيه أنا حد ميتعوضش وحد قوي وإني مخسرتش في العلاقة دي بالعكس كسبت كتير لأني مبخلتش بأي حاجة عشان العلاقة دي تكمل.

خرجت عن صمتها بعين سائلة فتابع:

- أمك... أمك يا أمل أهم إنجاز ليا في حياتي لو مكنتش اتوجعت قبل كده مكنش ربنا كافئني بأمك، ربنا بياخد منك حاجة فاكراها آخر أمل ليكي في الدنيا عشان يديكي الأمل نفسه... فاهمة يا أمل!

أيقنت الرسالة التي يريد أبوها أن يخبرها بها، دخلت بين ذراعيه ليحتضنها وتركت دموعها تنساب بصمت على صدره، كان يشعر بارتجافة قلبها وهي داخل أحضانه، ربت على ظهرها ربتات حانية قائلا:

- ابكي يا بنتي البكا عمره ما كان عيب... أيوة صح أنا ربيتك تبقي قوية لكن مفيهاش حاجة إنك تبكي وتنهاري كمان وتقعي هي دي طبيعتنا كبني آدمين إحنا مش جبال ده حتى الجبال بتحس.

أدركت أن عليها أن تعترف بألمها وتقبل ضعفها ووجعها، أن عليها أن تقبل الغياب والبعد وأنه لا بأس من الانهيار والصراخ والبكاء، اعترفت بوجعها في هذه اللحظة التي احتضنها فيها أبوها، كلماته كانت كالضوء الأخضر لكل شيء بداخلها ووضعت أمامه الإشارة الحمراء أنه لا يصح، تركت أباها يمسح دموعها وهو يشد من أزرها، غادرته تمشي على مهل وهي منهكة لترتمي من جديد على فراشها.

أدرك أنه أخطأ في أمرها كثيرًا، لم يكن عليه أن يمنعها مما تريد، فأي حياة كانت ستعيشها باختيارها أفضل مما هي عليه الآن، ندم كثيرًا لكن بعد فوات الأوان.

***

تناولت رشفة من القهوة ونظرت في عينيه مباشرةً قائلة بملامح هادئة مستقرة مطمئنة:

- كلام بابا فرق معايا أوي يا عبد الله، هو معرفش يخرجني من الحالة اللي كنت فيها ومعرفش يخرجني من حتة الصدمة لكن خرجني من حالة الإنكار الرهيب للي حصل وعمل حاجة أهم ودي اللي مخلياني قاعدة بتكلم معاك دلوقتي، الإنكار للصدمة بيوصل لطريق مسدود لو كنت فضلت فيه مكنتش هبقى معاك دلوقت.

كانت عيناه تسألانها، فتابعت:

- كلامه منعني من الانتحار.

رغم أن أي كلمة تتكلمها أمل هي بالغة الأهمية لعبد الله إلا أنه

عند ذكرها لرغبتها في الانتحار تأكد أن هذه العلاقة غيَّرت فيها الكثير لهذه الدرجة التي جعلتها تفكر في شيء كهذا، إنها تغير قناعة راسخة في قلب وعقل أمل النابضين بالحياة.

***

لم تكن بخير على الإطلاق، لم تعد تستطيع النوم الذي يفارقها منذ أيام، رأسها يملؤها الكثير من الأفكار والضجيج وأقل الأصوات تُسبب ألمًا كبيرًا لها، ترقد على سريرها في غرفتها ظهرها للسماء ورأسها متدلية من جانب السرير ناحية الأرض، تمسك هاتفها وتقلب فيه بلا مبالاة وعينها لا ترى أي شيء مما يتحرك في الشاشة الصغيرة، أذناها تلتقط خطوات في الخارج، اختفت الخطوات ثم عادت مرة أخرى لكنها كانت مسرعة، كان والدها قد تحرك ناحية المطبخ ليحضر كوبًا من الماء لوالدتها ولم يحركها من سكونها إلا صوت والدها وهو ينادي على زوجته باسمها بصوت عالٍ.

انتفضت من مكانها مهرولة إلى غرفة والديها ودخلت لتجد والدها يحاول إفاقتها ولكن دون جدوى، التقطت هاتفها وأخبرت الطبيب فأرسل لهم سيارة إسعاف لتنقل والدتها إلى المستشفى وهو سيلحق بهم هناك، ارتدت ملابسها وظلَّت بجانب والدتها إلى أن سمعت صوت سرينة الإسعاف ففتحت لهم الباب وساعدتهم في حملها ثم ركبت بجانبها هي ووالدها في سيارة الإسعاف وفي الطريق رنَّ هاتفها، كانت نيروز:

- إنتي فين أنا عندك في البيت محدش بيرد!

أخبرتها بما حدث فقالت نيروز:

- أنا جيالك حالا.

أغلقت نيروز الخط مع أمل ثم اتصلت بطارق، لأكثر من سبب؛ الأول ليكون بجانب أمل في هذه الحالة، الثاني لتخبره بعدم حضورها وكان رده غريبًا لم تتوقعه.

- هعملك إذن متخافيش خدي اليوم إجازة وخليكي جمبها.

سكتت طويلًا ولم تغلق الخط وهي تنتظر أن يُخبرها بشيء آخر فقالت:

- إنت مش جاي؟

- خدي بالك منها يا نيروز هي دلوقتي مالهاش غيرك.

ثم أغلق الخط وتحركت نيروز مسرعة إلى صديقتها بينما كانت أمل تشعر بالضعف والوحدة، كانت تنظر في هاتفها تنتظر أن يتصل بها ليخبرها أنه في الطريق إليها ولكن لم يحدث حتى الآن، فكانت بالقوة الكافية رغم هوانها ألَّا تتصل به ولا مرة واحدة بعد ما حدث، لكنه الضعف الذي يوهمك بأنك بحاجة لمن تركوك تحتاج عودتهم من جديد أن ترتمي في أحضانهم وكأنَّ شيئًا لم يحدث مِمَّا مضى.

وصلت سيارة الإسعاف إلى المستشفى وقام الأطباء بإنعاش والدتها وعمل اللازم، وكان فؤاد يتحدث بجانبها بصوت خافت يلوم والدتها على إجهاد نفسها:

- أمك يا أمل مكانتش بتريح نفسها ورغم إني قايلها متعملش أي

مجهود عشان العملية اللي لسه قايمة منها كانت برضو بتتعب نفسها في كل حاجة.

أخذت أمل والدها بين ذراعيها وحاولت أن تطمئنه:

- هتبقى كويسة يا بابا متخافش.

كانت ترتعش خوفًا على والدتها فقيامها من عملية قلب مفتوح كان بمثابة معجزة مما يجعل انتكاستها الآن خطرًا كبيرًا يلوح في الأفق، وقبل أن يخرج الطبيب ليطمئنهم على حالتها، وصلت صديقتها واحتضنتها وحاولت طمأنتها:

- هتبقى بخير اطمني.

كانت تقف أمل وتنظر حولها تتمنى أن يظهر ويكون بجانبها في هذه الحالة، كانت صديقتها تلاحظ عينيها المرتجفة التي تدور في المكان تراقب المنافذ جميعها وكانت تعلم ما تنتظر - لكنه لن يأتي - تحرك الطبيب مع مساعديه لوضعها في غرفتها ثم خرج لأمل ووالدها في الخارج وطمأنهما عليها، ثم قال بصوت حاد:

- ينفع كده يا أستاذ فؤاد؟ أنا مش منبه عليكم متبذلش أي مجهود!

يعلم الجميع أنهم مخطئون لأنهم يتركونها تفعل ما تريد، ولكن (لطيفة) التي لا تستطيع أن تترك أحدًا يفعل مكانها، لا تستسلم للتعب أبدًا:

- والله يا دكتور بمنعها بس هي بتعمل ده من ورايا بس خلاص مش هيحصل تاني.

- عامة هي أحسن دلوقتي وإحنا لحقناها بس هتفضل تحت الملاحظة لآخر اليوم وبعدين تروح وكل المحظورات زي ما هي... ياريت تمنعوها ولو بالقوة.

هزَّ الجميع رؤوسهم متفقين مع الطبيب ودخل فؤاد ليجلس بجانب لطيفة حتى تفيق وقالت أمل لوالدها:

- أنا هنزل الكافتيريا أجيبلك حاجة تاكلها.

قالت نيروز محاولة أن تريح صديقتها:

- خليكي هنزل أنا.

- لا أنا عايزة أنزل.

تحركت الصديقتان إلى الخارج وفي طريقها للكافتيريا الخاصة بالمستشفى رأته، كان يجري للداخل فوقفت تتابعه بعينيها من بعد آخر كيف لم يرَها، رأته من مكانها وهو يتحرك ناحيتها وهي تقف أمام غرفة العمليات مع والدها منتظرين خروج والدتها، التقط أنفاسه وصافح فؤاد وعرَّفَه بنفسه.

- أنا طارق.. زميل أمل في الشغل.

رغم تأكيدها عليه ألا يأتي خالف اتفاقهما ولم يستطع أن يتركها بمفردها تواجه هذا الموقف، وقف بجانبها ولم يتحدث فكان وجوده بجانبها يطمئنها، تشعر بالأمان في وجوده وبأنها تستطيع التحمل مهما كان الألم، همست بصوت منخفض حتى لا يسمعها والدها:

- جيت ليه!!

لم يرد وربت على كتفها دون أن يُعقِّب، كان يخبرها بأنه بجانبها حتى وإن رفضت وجوده، حزينة على والدتها قلبها ينبض بسعادة لوجوده بجانبها، كرَّرت سؤالها، فقال وهو يقترب منها بصوت هادئ:

- جيت عشان مينفعش أسيبك لوحدك.. إنتي عارفة إنك أهم حاجة في حياتي.

نظرت له دون أن ترد، فتابع:

- كان لازم أكون هنا معاكي ومقتنعتش بـ ولا كلمة قولتيها على فكرة الصبح.

ابتسمت لذاك المشهد الذي قفز لمخيلتها وقبل أن تستكمله، شعرت بيد صديقتها على كتفها:

- مالك يا أمل؟... فيه إيه؟

- مفيش أنا تمام.

كانت تعلم صديقتها ما تشعر به من خيبة أمل وصدمة فأزاحت الصورة من أمامها ثم تحركت معها إلى الكافتيريا، طلبت ما تريد من النادل وعادت مرةً أخرى إلى والدها ولم تلتفت وراءها لتبحث عنه، أيقنت أنه رحل ولن يعود، كل شيء حولها له فيه ذكرى وعليها الآن أن تدرك أنه لم يعد له مكان بداخل واقعها الذي تعيشه وعليها أن تصدق ذلك حتى تستطيع أن تستكمل طريقها وحدها بدون ذاك الوجع الذي خلَّفه الرحيل.

***

- استنيته ومجاش يا عبد الله.. كنت واثقة إنه جاي بس خذلني للمرة التانية ومجاش.

كان ينظر لها غير مصدقٍ ما تسمعه أذناه، لم يصدق أن هذه أمل التي عاش معها فقال وهو يضع فنجان القهوة على الطاولة:

- أنا معرفش إنتي إزاي كنتي مستنياه يا أمل وإزاي أصلا اتخدعتي فيه كده؟

زفرت بضيق قائله:

- افهمني يا عبد الله.

ابتسم بهدوء وقاطعها:

- محدش فاهمك قدي يا أمل، أنا عاوزك تعرفي ده كويس.

هزت رأسها بالنفي وهي تحاول أن تشرح ما تشعر به، فقاطعها:

- أنا عارف إنتي عاوزة تقولي إيه بس هو محبكيش يا أمل، هو بس استخسر واحدة زيك تبقى مع أي حد تاني يقدرها.

ساد الصمت قليلًا تفكر في كلامه لثوانٍ ثم قالت:

- ساعات كتير كنت بحس كده بس كنت بكدب نفسي.

ابتسم عبد الله من كلامها:

- من إمتى يا أمل بتكدبي إحساسك ده كان المفروض من أول مرة حسيتي ده تبعدي.

- مبعدتش بقى يا عبد الله، كنت بقول هفضل أبعد وأهرب لغاية إمتى فقولت هكمل واللي يحصل يحصل.

ضحك عبد الله فتيقَّنت أنه يكتم السباب بداخله، ابتسمت رغم مرارة ما تحكي كأن فجأة تذكرت شيئًا هامًا فقالت بحماس:

- أخبار العيال إيه صحيح؟

***

بخطوات ثقيلة وجسد أرهقه المرض تحركت السيدة العجوز متجهة لغرفة ابنها الوحيد، فتحت باب الغرفة واقتربت من سريره وجلست بجانبه وفتحت المصباح الصغير الذي بجواره ودون أن تتكلم خرج صوت عبد الله من تحت الغطاء:

- نص ساعة بس يا أمي.

أغلقت المصباح وظلت بجواره خمس دقائق ثم أنارتها مرة أخرى، كرر عبد الله طلبه، فقالت الأم:

- النص ساعة عدت يابني، الساعة دلوقتي 8 وهنتأخر على البنك.

أزاح الغطاء من على جسده ومسح عينيه ثم اقترب من والدته وقبَّل يديها ثم قال بنبرة مازحة وهو يرتدي خفيه ليذهب إلى الحمام:

- ورحمة أبويا تبطلي الحركة دي بقى يا أمي، أنا عارف إنها لسه سبعة ونص.

ضحكت الأم فنهض من مكانه ليضمها ولدها الذي لا يملك في الدنيا إلا هي وأمل، تلك الفتاة التي تجعله يتحمل كل شيء ويتخطى كل ما حدث له، أمسك هاتفه ليراسلها وهو يقول لوالدته:

- قومي اعمليلي الفطار طيب يا حبيبتي لغاية ما اتوضى وأصلي.

كان عبد الله شابًا ثلاثينيًا تخرج في كلية التجارة بتقدير عام ممتاز لكنه لم يستطع أن يُعيَّن في الجامعة معيدًا بسبب الواسطة والرشاوي، حاول البحث مرارًا وتكرارًا عن وظائف تناسب شهادته وطبيعة حياته لكنه فشل في ذلك، كانت أمل صاحبة فكرة أن يعمل لدى شركة «أوبر» ولكن من أين المال الذي يستطيع أن يشتري به سيارة بها المواصفات التي تريدها الشركة، ساعدته حتى حصَّل مقدم السيارة ومع مساعدة والدته له ببيع حليها استطاع أن يدفع مقدم السيارة ومن عمله عليها يسدد أقساطها، كانت السند والحب والحياة التي يعيش من أجلها لكن مع كل هذه المواصفات لم يستطع أن يقنع أهلها أن يسمحوا لها بأن تتزوجه في وجود والدته في نفس المنزل ورغم قوتها وعنادها لم تنجح هذه المرة في إقناع والديها بالفكرة أيضًا، كانا شديدين ويريدان صورةً معينة لحياة ابنتهما فقررت ألا تغضبهما وألا تخسر حب عمرها، لم تفتح معهما الموضوع مرةً أخرى لكنها رفضت كلَّ من تقدموا لخطبتها بعد ذلك، واستمرت علاقتاهما سويًا دون أن يعرف أحد بذلك، فتح هاتفه وأرسل لها:

- طبعا لسه نايمة بس أنا قولت أصبح عليكي قبل ما أنزل مع أمي.

- نايمة إيه يابني أنا خمس دقايق هبقى عندك.

قام من مكانه سريعًا ليجهِّز نفسه قبل وصولها، وعلى سجادة الصلاة أدَّى فريضة الصباح ليسمع طرقات الباب وهو يصلي وخطوات والدته وهي تتجه إلى الباب وتفتحه لتدخل أمل بعد أن تبادلا القبلات والسلامات، تلك الفتاة التي وقع في حبها منذ أن رآها التي استطاعت بفتنتها أن تأسره، صاحبة العينين السوداوتين والشعر الأسود الداكن والملامح الخمرية التي زادتها جمالًا، أنهى صلاته ثم قام الى والدته قائلًا:

- يعني كنتِ عارفة يا أمي إنها جاية!!

- أنا معرفش يابني حاجة.

قالت أمل وهي تنظر في عيني عبد الله مباشرةً:

- مفيش صباح الخير الأول؟

- صباح الخير الأول.. إيه اللي جابك مش عندك شغل النها ردة؟

ضحكت أمل ثم قالت:

- جيت أصبح على ست الكل الأول وبعدين هروح التدريب بتاع الشركة الغريبة اللي بابا عايزني أشتغل فيها دي.

- مش هتتأخري كده؟

- لا يا حبيبي هفطر معاكم وبعدين نروح البنك سوا وبعدين توصلني.

نظر لها عبد الله رافعًا حاجبه، فقالت:

- هدفع تمن المشوار يا عم.

ضحك الثلاثة على تعقيبها وجلسوا سويًا يتناولون الطعام، ساعد عبد الله والدته على نزول السلم وفتح لها باب السيارة وساعدها على الركوب، ركب بجانبها على كرسي القيادة وركبت أمل على الكنبة الخلفية، في البداية كان يريدها أن تجلس بجانبه ولكنه أحب وجودها خلفه ليتمكن من رؤية عينيها بين الحين والآخر. تحركت السيارة في طريقها وقالت أمل بعفويتها الرقيقة:

- ما تشغلنا حاجة يا كابتن

ضغط على زر صغير في السيارة فخرجت صوت السمسمية من السماعات الجانبية للسيارة ثم بعدها بدا صوت جميل يغني «آه يا لالي يا لالي يالالي يا أبو العيون السود يا خلي»، كان عبد الله ينظر لعيني أمل السوداء في المرايا التي أمامه مع كلمات الأغنية وهي تحمر وجنتاها خجلًا من وجود والدته معهما، استمرت الأغنية معهم حتى وصلوا إلى البنك «آه يا لالي يا لالي يا لالي خليك على كيفك تملي.. يا عيني يا لالالي يا روحي يا لالالي يا سيدي يا لالالي».

أوقف السيارة بجانب البنك وطلب من أمل أن تظل في السيارة ورافق والدته للداخل وفي دقائق قليلة كان قد انتهى مما أتى لأجله.

ساعدها على ركوب السيارة مرة أخرى وعاد بها إلى المنزل ونزل سريعًا إلى أمل التي نقلت مكانها مباشرة إلى جانبه وبمجرد أن جلس بجانبها رفع الزجاج ثم اقترب منها وقبَّلها قبلةً طويلة أخذ منها الطاقة التي تلزمه لمتابعة يومه بعد الاستيقاظ مبكرًا، تحرك بها

إلى عملها وقبل أن تغادر السيارة قال:

- هشوفك بالليل؟

- لو عرفت أزوغ هجيلك عند صالح.

أعطته ظهرها ودلفت إلى داخل الشركة وغادر عبد الله لمتابعة عمله، كانت الحياة صعبة لكن وجود أمل بجانبه يهونها عليه قليلًا والساعة التي يقضيها مع أصدقاء عمره في المساء تساعده على المتابعة، هكذا هي الحياة لا تستطيع الاستمرار بها وتحمل أعبائها بدون وجود أناس تحبك وتخفف عنك حدتها، مرَّ النهار عليهم جميعًا سريعًا واتصل بوالدته يخبرها بأنه سيتأخر قليلًا لتتناول العشاء ولا تنتظره، فقالت:

- ماشي يا حبيبي هسيبلك الأكل في المطبخ لما تيجي كل بقى متنساش نفسك.

- حاضر يا ست الكل.

أنهى مكالمته معها ثم اتصل بسالم صديق عمره فقال بصوت أنثوي.

- مساء الخير يا مستر سالم

رد الآخر من الجهة الأخرى ساخرًا لأنه يعلم ماذا سيقول:

- مساء الخير يا افندم

- بنتي محتاجة درس خصوصي في علم النفس يا مستر عشان

هي تعبانة فيه أوي.

ضحك سالم ثم قال:

- هي برضو اللي تعبانة؟

ضحك الصديقان ثم أخذ صالح الهاتف من سالم وقال لعبد الله:

- إنت فين يا عبد الله؟

- جاي أهو... أمل وصلت؟

تناولت أمل الهاتف من صالح، وقالت:

- اخلص ياعم أنا تلجت وعايزة أروح.

داس على البنزين بقوة وصعد لأصدقائه على سطح المنزل ليجلس معهم قليلًا، تلك الأوقات التي كان يقتنصها ليقضي وقتًا معها حتى لو بين أصدقائهم، كانت من أمتع الأوقات التي يحظى بها ليستكمل الحياة بجميع تحدياتها، يمر الوقت سريعًا وهو معهم لا يعلم كيف يمر، وصل سريعا إليهم فصافح أصدقاءه وعانقهم ثم جلس بجوار أمل قائلًا:

- هاتلي شاي يابني.

ناول صالح لصديقه الشاي بينما يسألهم عبد الله عن أحوالهم التي يعلمها جيدًا، فقال سالم:

- بتضيق أوي يا عبد الله.

تناول رشفة من الشاي وجلس ينظر لحبيبته وأصدقائه ولا يعلم

ماذا يفعل لهم ليساعدهم وهو من يحتاج للمساعدة، فردَّ عبد الله:

- الدروس يابني مش جايبة همها ولا إيه؟

ردَّ سالم على صديقه بنبرة منكسرة:

- لما المسؤوليات بتكون كتير مبيبقاش في حاجة جايبة همها، إنت عارف إني بجهز أختي وعارف برضه يعني إيه جهاز البنات دلوقتي.

- أكيد طبعًا عارف بس ربنا هيعينك ويقويك ده رزق البنات واسع وربك كبير.

ثم نظر لصالح قائلًا:

- وإنت يا صالح إيه الدنيا معاك؟

- الجيم دخله حلو جدا بس أنا بحلم أشتريه لنفسي بدل ما أنا بتعب عشان في الآخر صاحب الجيم هو المستفيد، عايز تعبي وخبرتي تعود عليا بأكتر من كده.

نظر لأمل محدثًا:

- وإنتي يا حبيبة بابا؟

قالت وهي تضع كوب الشاي من يدها:

- حبيبة بابا لو اتأخرت أكتر من كده بابا مش هيدخلها البيت، يلا بينا وأحكيلك في الطريق حصل إيه في الشغل أنا حكيتلهم قبل ما إنت تيجي أصلًا.

قام عبد الله من مكانه وهو يقول:

- هوصلها وأرجعلكم، متمشيش يا سالم.

أخذها من يدها ونزل بها إلى السيارة وبعد أن تحرك بها قال:

- صعبانين عليا أوي.

- هنعمل إيه يا عبد الله ما هو الحال من بعضه، بصراحة إحنا عايزين معجزة عشان نعدي من أم النفق الأسود ده.

-أنا بحمد ربنا إن إنتي معايا، هنعدي أي حاجة وإحنا مع بعض.

داس على البنزين أكثر محاولًا عبور النفق الذي هُما بداخله وبالفعل دقائق معدودة ثم وصلا إلى منزلها فتوقف بعيدًا عنه حتى لا يلحظ أحد وجودهما معًا ليتركها تكمل الطريق وهي معه على الهاتف، ودَّعها بعينين تعانقها بشوق ثم عاد إلى أصدقائه بعدما اطمأن عليها ليستكمل سهرته معهما.

***

عاد من شروده عندما سألته عن أصدقائهم القدامى كم هي جميلة تلك الأيام الخوالي التي كانوا يتجمعون فيها دائمًا، لا يدري كيف اختفت هذه الأيام وكيف أخذتهم الحياة من بعضهم إلى هذه الدرجة.

- العيال كويسين يا أمل بس مبقيناش زي الأول من يوم ما مشيتي.

وكأنها كانت الحبة التي تربطهم جميعًا ببعضهم البعض، غادرت

فتيقن الجميع أن الوجود مجرد وقت وسينقضي، ارتشفت أمل من كوب قهوتها وتابعت تحكي بعد أن قالت: «كانت أيام متتعوضش».

3

عادت إلى منزلها بعدما خرجت (لطيفة) من المستشفى وهي تحاول طمأنتها أنها ستكون بخير، حاولت تناسي ما تمر به، أحيانًا تأتيك تجربة أشد مما كنت بها لتشعرك بأن هناك أشياء أهم ويجب أن تشغلك وأن ما أنت فيه سوف يمر ولكن الحنين هو الذي يجعلك تظن أنك وحدك.. وحدك حتى لو العالم كله اجتمع حولك تشعر بأنك وحيد بدون من أبعدوك عنهم وتركوك تتجرع مرارة الوحدة بدونهم.

تداخلت عليها المشاعر في هذا الوقت، ماذا عليها أن تفعل! كيف يكون الإنسان مجبرًا على التعايش مع كل شيء وكل شيء به يسقط، استسلمت لهجمات الحنين المتكررة التي شنَّها عليها قلبها بلا رحمة فأمسكت هاتفها وبرغم كل ما وعدت نفسها ألَّا تفعل ففعلت وضغطت على اسمه لتتصل به وبداخلها ألف رجاء أن يرد عليها، أن يخبرها بأنه كان ينتظرها وأنه كان يشعر بالخجل منها وكان هذا هو السبب في عدم اتصاله بها.

كانت تنتظر أن تسمع صوته في لهفة، تريد أن تسمع اطمئنانه عليها وأنه كان يريد أن يكون بجانبها مهما حدث بينهما، تخيَّلت ألف حديث والعديد من الكلمات منه ولكنها استفاقت على انتهاء الرنين وأنه لم يرد على اتصالها.

سقطت على ركبتيها وهي لا تشعر إلا بألم التجاهل يكاد يفتك بها والندم على أنها انصاعت لهجمات الحنين المتتالية التي أفقدتها صوابها، انهالت على نفسها بالعديد من السباب أخبرت نفسها بأنها

تستحق ما فعله بها لأنها بلا كرامة، وجهت كل الكراهية التي بداخلها لما فعلت إلى نفسها في تلك اللحظات، لا يستطيع أحد أن يفرق بين ما يفعل وبين نفسه فتختلط الأوراق ولا يمكنك قبول أخطائك فتصبح أيضًا ترفض نفسك وتهينها وتستبيح جلدها مرارًا وتكرارًا، هذا ما فعلته أمل في روحها لتجعل الحياة تضيق أكثر عندما رفضت أن تسامح نفسها على إهانتها لكرامتها عندما حاولت الاتصال به ولم يستجب.

لم يمنعها عقلها من أن تنتظر وأنه يعيد الاتصال بها وسمحت لعقلها أن يعطيها مبررات لعدم رده عليها، همست لقلبها لكي يهدأ أنه ربما كان مشغولًا ثم استفاقت من جديد.. مشغولًا!! منذ متى كان ينشغل عنها أم أن هناك أبجديات جديدة عليها أن تتعلمها من جديد، أبجديات البعد والفراق والألم والتجاهل واللاشيء، انهارت باكية عندما طال انتظارها وهي تهمس لروحها المتعبة.

ساعدت أمل والدتها على الجلوس في سريرها وجلست عند قدميها تدلكهما وتنظر لوالدتها بابتسامة حزينة وتخبرها بأنها لن تتركها ثانية واحدة بعد ذلك وكأن الأقدار كلها تجمَّعت لتجلس أمل في البيت مرة أخرى وترى نفسها من جديد، لا يزال الألم يسيطر عليها ولكن هناك فَقْد آخر عليها أن تتجنبه، فقْدُ والدتها التي كادت أن تشعر به وسط كل ما تشعر به من ألم، ألم الخذلان والقسوة التي شعرت بها من جديد عندما لم يحضر إليها في المستشفى جعلها تشعر بهول صدمتها فيه ولكنها سرعان ما دخلت في شيء أهم منه ومنها.

بعدما اعترفت لنفسها بألمها الذي تشعر به وخيبتها الكبرى في أكثر إنسان جعلته يقترب منها ورضوخها لحالة الضعف التي تملكتها، خلق بداخلها طاقة أخرى جعلتها ترى الأمور من منظور آخر ووجدت أن هناك طاقة تتولد من جديد بداخلها لا تعلم من أين أتت، شعرت بأن اعترافها جعل كل ما بها يخرج، إنها الحرية.. حرية المشاعر المؤلمة التي تركتها لتبتعد عنها قليلًا إلى حين استدعائها من جديد.

انتهت من تدليك قدم والدتها وتركتها مع والدها في غرفتهما وتحركت ناحية المطبخ لتعد الطعام، مرَّ اليوم سريعًا بين الطعام وتنظيف المنزل واطمئنانها على والدتها وتأكدت من أنها لن تتحرك من مكانها حتى تسترد عافيتها.

- ماما أنا هدخل آخد شاور بس توعديني متقوميش من مكانك.

هزَّت لطيفة رأسها في إيجاب فتابعت أمل:

- بابا عشان خاطري متضعفش قدامها ومتخليهاش تقوم ماشي؟

- ماشي يا حبيبتي.

تحرَّكت أمل إلى غرفتها تناولت ملابسها ثم إلى الحمام مباشرة فنزعت ملابسها عنها ثم نظرت إلى نفسها في المرآة، لم تكن مصدومةً مما حدث أو مما وصل إليه شكلها وملامحها، لقد تخطَّت مرحلة الصدمة بكثير وعليها الآن المواجهة، أيقنت أن مواجتها لنفسها أهم بكثير من أن تواجهه.

كل ذلك كان يدور في رأسها ولا تحاول حتى الفكاك منه، فتحت

المياه وأصبحت أسفلها مباشرة، كانت المياه تتخلَّل خصلات شعرها وثناياها، كانت تقف ناظرة للاشيء ولا تدري ماذا تفعل فقلبها يؤلمها بشدة وملامحها تؤذيها ولا تريد أن ترى نفسها بهذا الشكل لأكثر من ذلك.

تركت نفسها تستجيب للجاذبية وسقطت أرضًا وتركت الماء يغمرها، كانت القطرات تمر بعينها تحاول سحب دموعها لكنها أبت أن تبكي ولن تبكي، أغمضت عينيها بشدة فشعرت بيد تمسكها من كتفها وتساعدها في النهوض، وقفت أمامه مباشرة وهي تحاول أن تصدق أنه موجود فلمست وجهه وهي تعلم أنه خيال بداخلها فقام بإزاحة خصلات شعرها عن وجهها ثم لثم جبينها وعينها ووضع رأسها عند قلبه وهمس في أذنيها:

- إنتي مصدقة إني أقدر أعيش من غيرك يا أمل؟

كان الماء يغمرهما، جاهدت دموعها ولم تسمح لها بالسقوط فتنهدت وقالت:

- إنت قولت مش عايز أكمل.

تحرك بيده على كتفها وظهرها وقال:

- يبقى مش عايز أكمل يعني!.. مصدقة ده بجد!

- المفروض كنت أعمل إيه يا طارق؟

- كنتي تمسكي فيا أكتر من كده.

دفعته بعيدًا عنها ليخرج بعيدًا عن الماء.

- إزاي إنت حتى مبذلتش أي جهد إنك ترجعلي!

ساد الصمت قليلًا ثم تابعت:

- أمسك فيك إزاي بعد كل اللي إنت عملته!!

اقترب منها وضمها إليه، لثم شفتيها وشدَّها عليه أكثر وقال:

- كنتي تمسكي فيا كده.

ابتسمت رغم مجاهدتها للألم والدموع، ابتسمت بألم لاستسلامها لأحلام يقظتها التي تريحها قليلًا وعادت من جديد لواقعها، الأحلام هي ما تبقينا أحياءً ولكن بعض الأحلام تؤذينا لأننا نعلم أنها لن تحدث، غسلت شعرها ثم أغلقت المياه وجفَّفت جسدها المبلل وعينيها التي ستنفجر ولكنها تستطيع مقاومة رغبتها في البكاء.

ارتدت ملابسها ودخلت غرفتها وجلست تمشط شعرها أمام المرآة فكانت تريد أن يتبدَّل شكلها في المرآة، لا تطيق هذه الحالة من الحزن والوجع التي تكسو ملامحها فأمسكت المقص واقتربت به من شعرها لتقصه، فُتِحَ الباب فجأة عليها لتجد صديقتها تقف أمامها مباشرة، دخلت نيروز مسرعة وأخذت المقص منها ثم أغلقت الباب خلفها، وجلست بجانبها وضمتها إلى قلبها:

- بتعملي إيه يا أمل؟

- كنت هقص شعري فيه إيه؟

- فيه إن مش دي أمل اللي أعرفها، إيه الهبل ده!

نظرت لها بعينين خاويتين فأخذتها في أحضانها وقالت:

- عيطي يا أمل.. عيطي يا حبيبتي عشان تعرفي تتنفسي بدل ما إنتي هتنفجري كده.

- مش قادرة يا نيروز ومبقتش قادرة أعيط.

- قومي طيب البسي تعالي ننزل شوية.

رفضت أمل عرض صديقتها لكن الأخيرة صمَّمت على ذلك، ساعدتها في ارتداء ملابسها وأخذتها وخرجت من الغرفة، مرَّت على فؤاد ولطيفة لتخبرهما بأنها ستأخذ أمل قليلًا وستعيدها، لم يعترض أحد.. يشعر فؤاد بالذنب تجاه ابنته، يريد أن يعتذر لها لكنه غير قادر على ذلك.. حياتها مع عبد الله كانت ستجعلها أفضل من ذلك بكثير، العند والكبرياء جعله لا يتكلم، قالت أمل قبل أن تغادر:

- خد بالك من ماما يا بابا.

تحركت أمل وصديقتها للشارع وفي أول سيارة لقت بنفسها وتركت رأسها للزجاج الجانبي وقالت نيروز:

- اطلع على وسط البلد يسطا.

تكلمت أمل بصوت يكاد يخرج منها:

- أنا مش قادرة على وسط البلد خالص يا نيروز.

أمسكت يدها لتخبرها بأنها بجانبها فتطمئنها، كانت تنظر للسيارات المجاورة والناس التي تتحرك في خطوط عشوائية تحاول أن تهرب

بعينيها من كل ما يضغط على قلبها، تحاول أن تنكر كل ما حدث من رأسها الذي يؤلمها، وصلت السيارة لوجهتها ونزلت الصديقتان واتجهت نيروز إلى الآيس كريم مباشرة.

- اتنين آيس كريم لو سمحت.

استغرب النادل من طلبها، عادة ما يطلب الزبائن الآيس كريم بالنكهات الخاصة بهم التي يفضلونها فسألها:

- طعم إيه يا فندم؟

ابتسمت أمل لأن هذه خصلتها وها هي تُصاب بها صديقتها، اعتذرت نيروز وقالت:

- فانيليا وفراولة.

سارت الصديقتان جنبًا إلى جنب، بدأت نيروز تتكلم وتُهوِّن على صديقتها ما تمر به وتخبرها بما يجب أن تفعل، كانت أمل تعرف كل هذا الكلام لكن لا سلطان على قلب أرهقه الحب.

- أنا بحبك أوي يا أمل ومش عايزة أشوفك كده.

ثم ضمتها إلى قلبها أمام الجميع وكأن الزمن توقف، فردت أمل ساخرة:

- مش كده يا بنتي الناس هتفهمنا غلط.

ضحكت الصديقتان واستطاعت نيروز أن تخطف أمل من أحزانها ولو لوقت قصير، كانت خير سند وخير صديقة وبعد وقت قليل

طلبت أمل الرحيل لتكون بجانب والدتها فأوصلتها نيروز وعادت إلى بيتها مرة أخرى بعد أن اطمأنت على صديقتها، شعرت براحة حقيقية بعد أن منعتها من قص شعرها فهي تعلم كم تحبه، عادة عندما تصاب أي أنثى بصدمة أول ما تفكر به قص شعرها ليس للتغيير كما يظن البعض فقط لأنه أغلى شيء تملكه فتخبر الجميع أنها تستطيع أن تتخلص من أي شيء مادام استطاعت أن تقص شعرها فهي قادرة على التخطي.

كانت نيروز تعلم صعوبة الأمر على أمل لكنها لم تكن تتوقع أن يصل بها الحال لهذه الدرجة من الالم، كان شعر أمل أغلى ما تمتلكه، تحبه وتوليه اهتمامها كونها تهم بقصه، تشعر نيروز كم الألم الذي تشعر به صديقتها!، وصلت نيروز إلى منزلها ودلفت غرفتها، ألقت بجسدها على السرير وأضاءت نورًا خافتًا ليبث بروحها بعض الهدوء الذي افتقدته منذ فترة طويلة ثم اتصلت بصديقتها لتطمئن عليها، تحبها حقًا وتخاف عليها من المشاعر التي تعصف بها الآن ولكن الحب لم يمنعها أن تشعر بتلك المشاعر المتضاربة التي تتحرك بداخلها! بعدما ردَّت عليها سألتها:

- هتعملي إيه دلوقتي؟

- هنام.

- نامي علطول بقى عشان هجيلك بكرة.

- فيه حاجة؟

- لا بكرة إجازة هاجي أقضيه معاكي في البيت.

ابتسمت أمل رغما عنها فقالت وهي تشعر بامتنان حقيقي لصديقتها:

- بحبك أوي.

أغلقت الصديقتان الهاتف ثم بدأت نيروز في تبديل ملابسها وبدأت تقلب في هاتفها قليلًا بينما أمل ملقاة على سريرها ولا تعلم ماذا تفعل ولا تدري أين ذهبت كل طاقتها التي كانت تعتقد أنها تجددت بداخلها، هكذا نتأرجح بين الشيء واللاشيء بين وهم نوهمه لأنفسنا وبين شيء نتمنى أن يحدث ولا يحدث.

***

بين كل هذا يجلس طارق مع أصدقائه في مكانهم المعتاد الذي يسهرون فيه، موسيقى صاخبة وإضاءة خافتة وشباب وفتيات يتراقصون في كل مكان، يمسك في يده هاتفه يرى شيئًا على الفيس بوك وفي اليد الأخرى كأسًا زجاجيًا وسيجارة، مال على أذنه أحد أصدقائه وقال بصوت عالٍ حتى يسمعه:

- اللي عملته مع أمل ده مش صح يا برو

ارتشف طارق من الكأس ثم قال:

- يابني بس كلام بقى في الموضوع ده أنا زهقت كل اللي يشوف وشي يسألني إيه اللي حصل وأنا مش عايز أتكلم.

أخذ الآخر نفسًا من سيجارته ثم رد:

- عشان الكل كان يعرف إنت عامل إزاي قبل أمل وبقيت عامل إزاي وإنت معاها.

ضاقت عيناه وكأن الدنيا اسودت في عينيه مرة واحدة فقال غاضبًا:

- أنا طول عمري كويس.. بيها من غيرها كويس.

- لا يا طارق متضحكش على نفسك إنت مكنتش كويس قبلها وبترجع أهو لنفس الطريق اللي كنت سيبته لما عرفتها، أنا هموت وأعرف إنت سيبتها ليه؟

ساد الصمت قليلًا بينما صوت المزيكا الصاخبة يزداد علوًا، فقال الأخير:

- حد يسيب بنت زي أمل.. هتندم ندم عمرك على الحركة دي.

قام طارق من مكانه وتحرك ناحية الشباب والفتيات الراقصين غير المدركين لأي شيء حولهم، بدأ يهز جسده بمفرده حتى اقتربت منه إحداهن فراح يرقص معها ويقترب منها أكثر غير مدرك لأي شيء حوله، كان يكابر في خسارته لأمل ويقنع نفسه أنه يستطيع أن يحصل عليها متى يشاء أو يستطيع أن يبدلها بأفضل منها إن أراد.

استمر في الرقص مع تلك الفتاة التي ترتدي القليل وتُظهر الكثير، كل هذه الأفعال كان قد تركها بعد معرفته بأمل فكانت طوق النجاة له من كل هذه القذارة، استطاعت أن تجذبه بعيدًا عن هذه الدنيا وها هو الآن يعود إليها بكل قوته وكأنها كانت الدافع الذي جعله يترك

أمل بسببها، كان يريد أن يعود لكل هذا، انتهت الرقصة واقتربت منه الفتاة وهمست في أذنيه:

- والله زمان يا طارق

كان لا يراها ولا يستطيع تمييزها فصافحها وقبَّلها ثم تحرك معها إلى الطاولة ناسيًا أمر أصدقائه الذين أتوا معه، فقال صديقه لبقيتهم:

- قابل ياعم أهو سرح هناك أهو.

خرج طارق مع الفتاة إلى سيارتها وتحركت به إلى منزلها، دلف معها إلى الداخل ساعدته في خلع ملابسه واقتربت منه تقبله في كل مكان، كانت هذه هي الحياة التي يريدها طارق مع أمل لكنها لم تستطع أن تعطيه ما يريد وحاولت مرارًا أن تنتشله من تلك البؤرة لكنها فشلت وانتهى بها الأمر بأنه تركها بعد أن أحبته وتعلقت به إلى هذا الحد.

تحركت بخطوات كلها رقة إلى مشغل الإسطوانات وقامت بتشغيل أغنية روسية تحبها وبدأت ترقص عليها وتتمايل بجسد متناسق وممشوق، اقتربت منه أكثر ودفعته أمامها لتعيش معه لحظات وتتمنى أن تستعيده ثانية كما كان في ماضيه وهو يشعر بالرغبة فقط ولكنه يفتقدها، لم يكن هناك شيء يمنعه أن يستكمل نشوته ولكن أمل لاتزال تجري في دمائه فكان يراها هي، حاول أن يعيش معها تلك اللحظات التي تمنى أن يعيشها مع أمل، ترك الغريزة تتحكم به ففعل معها كل ما يريد بكل الحب الذي استقر بداخله تجاه أمل وعندما فتح عينيه لم يجدها.

ابتعد عنها سريعًا كأنه شاهد كابوسًا ثم ارتدى ملابسه ورحل، رحل وهو لا يعلم ماذا يريد! هل يريد تلك الحياة التي لا يجد نفسه إلا فيها أم أنه يريد أمل! عاد إلى المكان وأخذ سيارته ثم ذهب إلى منزله وألقى بجسده على سريره ثم اتصل بها مرارًا وتكرارًا ولم ترد، لم يتوقع أنها لن ترد عليه، لم يتخيَّل أن أمره انتهى عندها بتلك السرعة.

في تلك اللحظة التي أضاء فيها هاتفها باسمه لم تكن مُصدِّقة أنه عاد من جديد، شعرت بأن ربما شعر بخطئه، وراودها ذاك الإلحاح المُميت أن ترد ولكنها لم تستطع فعل ذلك، كان هناك شجارٌ أقرب إلى صراع يكاد يفتك بها بين قلبها وعقلها فكل منهم يريد شيئًا وهي لا تعلم ما تريد، وفي كل مرة يعيد الاتصال تريد أن تستمع إلى صوته وهناك شيء يخبرها بأن تُجيب ولكنها لا تستطيع وكأن مجرد اتصاله بها أرضى شيئًا ما بداخلها ولم تعد تريد شيئًا آخر، لم تعد تريده بعد مرور تلك الأيام التي تركها بها تنهار وحدها ولم يعِرها أي اهتمام، لم يفكر بها ولا فيما عانت منه بسببه، كل ذكرياتهما كانت تمرُّ أمام عينيها، كانت تراه وهو يحاول الاتصال بها مثلما كان يفعل من قبل ولكنها الآن لم تعد تراه بداخلها بعدما شوَّه صورته بداخلها وثقتها به، هذا ما يحدث دومًا عندما تأتي الأشياء في غير موعدها فنجد شغفنا لها قد تبخَّر وانبرى مثلما انبرت وذهبت تلك الأيام التي كنا نريده بها.

بدأ يكتب كلامًا كثيرًا ويمسحه ولا يعلم ما الذي يفعله، يريد أن يخبرها بما يشعر به الآن كما كان يفعل كل مرة ولكن ها هي ولأول مرة تتراجع في وعدها له... قالت ذات مرة: «أنا عمري ما هسيبك يا

طارق مهما كان السبب، عمري ما هتخلى عنك لو محتاجلي مهما كان الوضع، هي حالة واحدة بس...»، الخذلان بإمكانه أن يلغي أيَّ وعودٍ سابقة قد تعاهدنا ألا نفعل وفعلنا.

مسح طارق الكلام المكتوب لأنه يعلم أمل جيدًا، ويعلم أنها أخرجته من حياتها بعد أن خذلها بعد كل تلك الوعود التي قطعها على نفسه ولكنه بداخله أمل بأن يرقَّ قلبها ويحركها الحنين إليه من جديد فكرر اتصاله بها، مرارًا وتكرارًا وهو يبكي عليها ويريدها أن تعود لحياته مرة أخرى بعدما تجاهل هو اتصالها به وهي في أكثر حالاتها ضعفًا، لا يعلم كيف فرَّط فيها بهذه السهولة ولا يعلم كيف هان عليه ما فعله بها ولمَ الآن يريدها أن تجيب على اتصاله وهو من بدأ بالقسوة أولًا، شعر بمقدار خسارته عندما فقد بريقه بداخلها فمسح دمعه الذي بلَّل وجهه ثم أخرج رقمًا آخر وكتب لها رسالة من كلمه واحدة.

- وحشتيني.

وصلت الرسالة إلى صاحبة الرقم فالتقطت هاتفها مسرعة واتصلت به مباشرة:

- إنت فين يا طارق بكلمك من بدري مبتردش عليا ليه، وحشتني أوي وقلقت عليك.

ساد الصمت قليلًا بينهما فسألته:

- إنت كويس؟

- اطمني يا نيروز أنا بخير.

***

لم يركب سيارته تركها أسفل منزل صديقه وعبر الطريق وبدأ يجري بجانب البحر، بدأ العدو بطيئًا وهو يفكر في كل شيء ويرى كل شيء أمام عينيه، يرى والدته وهي تحاول مساعدته بكل الطرق الممكنة حتى يصل لما يريد، لم يستطع أن يتحمل تعبها من أجله بعد أن كبر وأصبح مسؤولًا عنها.

كان يرى أمل وهي تقف أمامه بفستان الزفاف وبينهما حائط زجاجي قوي منيع يفصل بينهما ولا يستطيع أن يضمها إليه، يرتدي بدلته السوداء ورابطة العنق ويقف بشكل أنيق، لم يرَ نفسه بهذا الشكل من قبل لكن قدماه مقيدتان بأغلال ثقيلة تمنعه من التقدم خطوة واحدة.

زادت سرعته فتسارعت أنفاسه وابتل جسده من العرق الغزير الذي هاجمه، هرول أكثر وبخطوات سريعة وجد نفسه أسفل منزله، وقف ينظر إليه وهو يتذكر والده الذي تركه وحيدًا في هذه الدنيا ورحل.

همس بأسى يكاد يختنق به قلبه:

- سيبتني ليه؟

التقط أنفاسه وهندم ملابسه ثم صعد السلالم لينام حتى ينتهي اليوم شبيه الأمس، يشعر بأنه في دوامة أبدية لن تنتهي أبدًا إلا

بمعجزة، حاول أن يطرد كل ما كان يفكر به وكل الخيالات السوداء التي كان يراها بعين عقله اليائس، اتصل بأمل بعد أن اطمأن على والدته أنها في سريرها، جاءه صوتها الدافئ ليحتضنه وهي تقول:

- وحشتني.

- أنا لازم أشوفك بكرة.

- طب وماما؟

- مالكيش دعوة أنا هتصرف.

قالها عبد الله ثم ضغط على الكاميرا وريثما رآها قال لها:

- وحشتيني وعاوزك تحضنيني أوي.

قالت وملامح القلق بدت عليها:

- مالك شكلك تعبان في إيه!!

اعتدل في جلسته كأنه يريد أن يؤكد لها أنه بخير فقال لها:

- مالي يا حبيبتي منا كويس أهو!

ردت عليه وهي تحاول تصديقه:

- متأكد!!

تنحنح ثم وضع هاتفه بجانبه بعدما أماء لها برأسه وهو يبتسم لها ابتسامة حانية متمنيًا أن يضمها، يقترب منها وهو يلمسها، لكن الغد ليس ببعيد فتابعت:

- يلا بقى عشان ننام.

نام الحبيبان في أحضان بعضهما دون تلامس، دون الوجود في مكان واحد لكن قلبه عانقها حتى راح في سبات عميق عبر الحب بينهما كل الحدود، تجاوزا كل ما يمكن تجاوزه حتى يشعرا بالسعادة دون التقيد بأي شيء.

أحبته وأحبت فيه حبه لها وإصراره عليها رغم قلة حيلته وضعف عزيمته في بعض الأوقات لكن قلبه الصادق جعلها تقف بجانبه حتى لا تخسر حياتها بدونه.

الحب الحقيقي هو ما يجعلك تعيش الحياة التي تمنَّيْتها، هو الذي يعبر بك كل الحدود والأوجاع والألم، هو المسكن القوى الذي يداوي مرارة الأيام، اختارته بعناية فكان حبًا حقيقيًا خطفها من كل شيء وهبط بها بداخل حياته وقلبه وقبلت أن تعيش بقانونه ورغبته، أعطته كل شيء مقابل حبه الصادق لها ووقفت أمام الجميع لأنها لمست في قلبه الحقيقة التي كانت تبحث عنها طيلة حياتها التي عاشتها قبل أن تراه فيها، أمل وعبد الله هما الخلاص لبعضهما البعض فكانت هي الأمل وهو الملاذ.

بخطوات ثقيلة تحركت والدته إلى غرفته، هزته يمينًا ويسارًا حتى يستيقظ فقام عبد الله من سريره وقبَّل والدته الجالسة على حافة السرير من رأسها قائلًا:

- صباح الفل يا ست الكل.

- صباح الخير يا حبيبي يلا بقى عشان منتأخرش على خالتك.

ابتسم ابتسامة لم تفهمها والدته، لم يعانِ هذه المرة من إقناع والدته في الذهاب إلى خالته لتقضي معها اليوم ويعود إليها في آخره لاصطحابها للمنزل فسألته:

- بتضحك على إيه يا واد؟

- ولا حاجة يا حبيبتي هجهز حالًا مش هتأخر عليكي.

- مش تفطر الأول؟

هزَّ رأسه بالنفي قبل أن يختفي عن أنظارها، قامت من مكانها وجلست على الأريكة في الصالة بجانب النافذة وظلت تدعو له حتى خرج فقال لها:

- افطري إنتي مع خالتي وأنا هاكل أي حاجة بره.

دخل غرفته وخرج بعد دقائق بعد أن ارتدى ملابسه ثم وقفت والدته بجانبه ونزلا سويًا السلم متحركين إلى منزل خالته فسألته:

- عامل إيه مع أمل؟

- مش ناقصنا غير إننا نقدر نتجوز.

- لسه أبوها مصمم على موضوع إنك تتجوز في شقة لوحدك ده؟

- ده شرطه الأخير بعد ما أمل وقفت قدامه وقالتله إنها مش هتتجوز غيري.

- البنت دي بتحبك فخد بالك منها وإن شاء الله ربنا يعدلها قريب.

فتح لوالدته باب السيارة ثم ساعدها في الدخول وركب بجوارها ثم ضغط مكابح البنزين لتتحرك السيارة.

- هتاخدي حاجة لخالتي وإحنا رايحين؟

- مش عايزة أكلفك يابني.

ضحك على ما تقوله والدته في كل مرة وفي الأخير تشتري لشقيقتها كل شيء وهي ذاهبة إليها، نزل السوق القريب من منزل خالته وساعد والدته في الشراء بعض لوازم المنزل ثم قالت:

- ادخل هات أي حاجة حلوة لداليا بنت خالتك.

لم يعقب ونفَّذه دون كلام ثم عاد إلى السيارة مرة أخرى وتحرك بوالدته إلى منزل شقيقتها، صعد بالحقائب السلالم وضرب الجرس لتفتح لهما ابنة خالته فكانت جميلة رقيقة، قابلته بابتسامة هادئة وهي تقول:

- صباح الخير يا عبد الله.

- صباح الخير يا داليا، بس خدي عني الأكياس دي الأول.

حملت معه الحقائب ودخلت بها إلى المطبخ وعاد إلى والدته ليساعدها على صعود السلم، انتهى بهما الحال في شقة خالته وجميعهم يجلسون في الصالة ويقف عبد الله مُصمِّمًا على المغادرة ولكن استوقفته خالته:

- لو مشيت من غير ما تفطر معانا هزعل.

- آه والنبي يا عبد الله.. افطر معانا.

قالتها داليا بنبرة حانية تترجاه أن يجلس معها ولو لدقائق قليلة فقالت والدته:

- خلاص يا حبيبي افطر معانا وبعدين انزل.

لم يخضع لأي منهن ولا لرغبتهن في بقائه.

- والله عندي ميعاد مهم مع عميل مشاويره حلوة وبيدفع كويس ومينفعش أزعله.

دخلت ابنة خالته لتجهز الفطار ولحقتها والدتها ثم شاورت والدته له لينزل بأذنيه إليها فقالت وهي تشد أذنه:

- طول عمرك هتفضل قليل الذوق مع بنت خالتك كده؟

قال بصوت هادئ حتى لا يسمعه أحد:

- أنا لو قعدت فطرت يا أمي مش هنخلص وإنتي عارفة.

- ما هو لو كنت وافقت أجوزهالك كان زمانك متجوز بقالك كام سنة وشايلين عيالك بدل وجع القلب ده.

قال بضيق وهو يتحرك بعيدًا:

- تاني يا أمي!! مش كان من شويه أمل بتحبك وخلي بالك منها على طول، كلامك اتغير كده أول ما جيتي!

- خلاص يا حبيبي روح ربنا ييسرلك أمورك، متتأخرش عليا آخر النهار.

تحرك عبد الله وغادر المنزل وهو يتصل بأمل راكبًا سيارته:

- إنتي فين؟

- إنت كل ده بتوصل أمك عند خالتك؟

- خلاص في الطريق للبيت أهو إنتي فين؟

- مستنياك في البيت.

كان قد أرسل لها رسالة فور نزوله ليعلمها بتحركاته فتجهَّزت وتحرَّكت إلى المنزل الذي تحمل نسخةً من مفتاحه، وصلت وجهَّزت كل شيء لتكون في انتظاره، جلست تنتظره وفور سماعها لحركة المفتاح في مزلاج الباب شعرت به كأنه يضعه في قلبها ويتحرك لفَّتَينِ لليمين ليدخل، دخل وأغلق الباب فتحركت ناحيته فترك ما في يده وفي الثواني التي استغرقتها للوصول إلى أحضانه كان قد نظر إليها وهو يتأملها، كان لا يعلم كم هي جميلة، كم هي فاتنة ولا يعلم سبَّب حبه لها أو حبها له، امرأة تسرق قلبه، لا يوجد لها شبيه، على الأقل بداخله.

مرَّ اليوم بأكمله وهما يتبادلان الحب مراتٍ ومراتٍ ولم تُصب بالملل أو الفتور منه ولم يشبع هو منها بل أنه يشعر دومًا أنه جائع وهي طعامه وفاكهته التي تحرمه منها الحياة.

- هتعمل إيه دلوقتي؟

- اليوم خلص ومش عايز أشتغل، هنزل أروح لصالح وسالم على السطح.

قبل أن يغادر كل منهما المنزل وقف أمامها عند باب الشقة قائلًا:

- أنا بحبك أوي... عايزك تعرفي ده كويس.

احتضنته وضمته إليها بقوة ثم قالت:

- أنا مغرمة بيك يا عبد الله.

نزلا السلالم سويًا وركبا السيارة وتحرك عبد الله إلى أن أوصلها إلى منزلها ثم اتصل بصديقيه، وأخبرهما أن ينتظراه على السطح لأنه يريدهما في أمر مهم.

4

كيف بدأ كل هذا، لا تعلم كيف وصل بها هذا الحال مع طارق، حبيب صديقتها ورئيسها المباشر في العمل الذي لم تره بهذا الشكل إلا بعد أن ارتبط بأمل ولا تعلم لماذا!!

كانت تحاول دائمًا أن تمنع نفسها عنه ولكنه كان كالفاكهة المُحرمة التي تريد أن تقتطفها بعدما شعرت بعدم استحقاقها له، رأته بعين صديقتها التي تحبه فما كان إلا أنها اشتهته وظلت تتمناه ولكن هي مشيئة الله ولعنته عليها، وقعت في حبه ولم تستطع أن تمنع نفسها أكثر من ذلك وشرعت جميع أبوابها في وجهه، أغوته كما أغوت امرأة العزيز الصديق، ولكنه لم يكن بعفته فكان من السهل الإيقاع به ولكنه ضميرها الذي كان يؤنبها ويُلح عليها أن تتوقف عن هذا فأحيانًا كانت تتراجع من أجل صديقتها، لكن الفرص التي أتت لها على طبق من فضة كانت بمثابة الفوز بتفاحة آدم، ذاقت حلاوتها ثم أصابتها اللعنة وطردت من الجنة، أُصيبت بلعنة الحب والغواية ولعنة الحبيب وطُردت من جنة صديقتها وفضَّلت أن تكون معها حتى ولو كان شعورها بالذنب يؤرِّقها وإن كانت لا تعلم ما بينهما، عادت إلى صوته وهو يخبرها قائلًا:

- اطمني يا نيروز أنا بخير... أنا بس مكنتش عاوز أفضل لوحدي الليلة دي ممكن تخليكي معايا!

قالها طارق وراح في سُباتٍ عميق ولم ينتظر ردها، كان يعلم أنها تريد منه ذلك بل وتتمناه أيضًا.

مرَّ الليل سريعًا على جميع الراقدين في راحة وهدوء طويلٍ على أمل التي سُلبت منها الحياة بكل الصراعات التي بداخلها وانطفأ نورها، كانت تعد الدقائق والساعات حتى يأتي الصباح ليبدأ يوم جديد بنفس الروح الباهتة المائلة للسواد، يوم تمر فيه بين والديها بروحها الغائبة وجسدها الحاضر، لا تعلم على أي شيء انقضت روحها وذهبت بلا رجعة، فهل على طارق أم على الحب نفسه؛ لأنها سلَّمت له واستسلمت قبل ذلك ولم تحارب، استيقظت نيروز ووضعت غطاءَها جانبها ثم تناولت هاتفها لتتصل به فجاء صوته من بعيد:

- صباح الخير.

-صباح الفل إنت لسه نايم؟

-لا أنا قُمت أهو شويه وهكلمك.

-هستناك.

تحرَّك طارق من سريره بعين نصف مغلقة ثم ارتدى نعله واتجه إلى الحمام، بجسد نصف عارٍ وقف يغسل وجهه وأسنانه ليتجهَّز للنزول، ارتدى بذلته ثم أرسل لها رسالة من سؤال واحد، وكان يعرف الرد:

-أعدي عليكي أخدك معايا ولا خايفة حد يقول لأمل!!

لم تكن خائفة من أمل بل خائفة عليها، مهما حدث لا تستطيع أن تصدمها هذه الصدمة وتوجعها كل هذا الوجع، لا تريد أن تضرب

صديقة عمرها بتلك الخسة، جاءت إلى الشركة تائهة وكانت أمل دليلها في كل شيء ولكن.. لعلك تعلم أنها لن تأتي إلا من أقرب الناس إليك ولن تتوقع؛ لأن شعورك وتفكيرك دائمًا يمنعانك من تصديق قساوة الأمر، ردَّت برسالة قصيرة:

-أنا مش هاجي النهاردة الشركة هروح لأمل.

قالتها وانتظرت أن تشعر بشيء يرضيها منه ولكنه لم يفعل، صمت قائلًا:

- تمام خلي بالك منها.

ارتدت ملابسها وذهب كلٌّ منهما إلى وجهته، كانت هي في طريقها إلى صديقتها التي تنتظرها أما هو فهبَّ إلى عمله وهو يبحثُ عنها ويغمره الحنين إلى صباحها المميز وإشراقة وجهها التي لا تغيب وتلك اللمعة التي تزيد عينيها بهاءً ونورًا، شعور الفقد بعدما كان هناك أحد تثق في حبه وتُضيِّعه من بين يديك مؤلم، ولكن هذا ما جنت يداه من رعونته وطيشه، أمَّا نيروز فلم تكن إلا اشتياقًا لحياة افتقدها بوجود أمل، فقد أعطته كلَّ ما كانت أمل تحجبه عنه، كان يريدها الآن فقط من أجل رائحة أمل التي تسكنها، والتي يفتقدها كثيرًا، أرسل إليها رسالة بعدما انتهى من عمله «عاوز أشوفك دلوقتي»، كانت أمل منهمكة في البيت مع والديها، والدتها المريضة ووالدها الذي يريدهما بجانبه طول الوقت، ريثما رأت نيروز الرسالة وهي لم تطِق صبرًا على لهفته البادية من رسالته، لم تجِب وذهبت مباشرة إلى أمل وهي تقول لها:

- حبيبتي أنا هنزل دلوقت في حاجة مهمة لازم أعملها

نظرت إليها أمل في تعجب قائلة:

-مش المفروض هنتغدا سوا!!

فاقتربت منها تداعبها قائلة:

- معلش ماما عاوزاني أروح دلوقت هجيلك تاني.

طبعت قبلة سريعة على وجنتها دون أن تلتقي عيناها بها، ربما تشعر بالخجل وربما كانت تعلم أن عينيها ستفضحها أمامها فتركتها، وأخذت حقيبتها وغادرت ولا تزال أمل تقف واجمة من سرعة مغادرتها ولكنها لم تكترث كثيرًا، ابتسمت أن ربما هناك أحد بحياتها ولم يحن موعد البوح، تنهَّدت لتتذكر أدق التفاصيل التي كانت تجمعها بطارق، تلك الأشياء البسيطة التي كانت تشعر معها بالحياة فندت منها ابتسامة ساخرة من تلك الذكريات المحمومة بالحب أو ربما وهم الحب!

وقفت نيروز بعيدًا عن بيت صديقتها تنتظر طارق.. أتى بسيارته وفتح لها الباب قائلًا:

- اركبي.

نظرت حوالها لتتأكد أنه لا يراها أحد وركبت بجانبه، ضغط البنزين بقوة لتتحرك السيارة منطلقة إلى مكان يريد أن يريها شيئًا فيه، فقالت:

- هتوريني إيه؟

- هوريكي إزاي أنا بحبك.

لمعت عيناها وهي غير مصدقة لما يقول، سحبت يده وأمسكتها بشدة ثم طبعت عليها قبلة رقيقة وهي تقول:

- بجد يا طارق بتحبني!

نظر في الطريق أمامه وهو يتحاشى النظر في عينيها قائلًا:

- أكيد.

هكذا قالها دون أن يكمل ولكنها اكتفت منه بذلك التأكيد الواهي، تريد أن تصدقه، تريده ولا تستطيع مقاومته، ربما كان كل هذا الشوق من حكايات أمل عنه وعن رغباته التي لا تنتهي فخلق بداخلها اشتهاء له فعلمت منها كيف كانت تصده وعن محاولتها لشده بعيدًا عن هذا الطريق، كانت لا تريد سوى أن تراه بخير وتحلم بشخص مثالي لا يوجد به كل هذه العيوب، تريده تكرارًا لحب قديم لكنها لا تعلم كيف تفعل ذلك، كانت غير مدركة أن البشر غير متشابهين وأنها لن تستطيع فعل ذلك. وصل طارق أسفل بناية كبيرة ووقف بالسيارة وقال لنيروز:

- يلا؟

نظرت للبناية وابتسمت قائلة:

- مشتاقلي؟

نظر إليها متذمرًا وهو يقول:

- إنتي لسه هتسألي!

فتح باب سيارته ليعلن لها أنه لا وقت لتلك الأسئلة وبالفعل لم يكن بداخله أي مساحة لأي سؤال هو فقط يريد الهروب مما يشعر به، يريد أن يشتم رائحة أمل التي حتمًا لا تزال ملتصقة بها، أخذها من يدها ودلفا إلى البناية أما هي فتذكرت ما حكته لها أمل عن نفس الموقف بنفس التفاصيل وكأنه مشهد مكرر أمام عينيها، الاختلاف الوحيد أنها لم تكن تعرف عنوان الشقة، زادت ضربات قلبها ونبضها بدأ يتحرك بسرعة، لا تعلم ماذا تفعل فهل تكرر ما فعلته أمل أم تصعد معه؛ لأنها تريده كما يريدها، تحبه بنفس الطريقة التي يحبها بها إن كان يحبها، كانت ترى أمل أمام عينيها وتسمع صوت طارق في أذنيها ولم يضغط عليها... سألها:

- نطلع؟

كان كل شيء تعرفه يخبرها أن ترفض طلبه، الهواء الذي يتحرك حولها كان شديدًا وصوت السيارات كان عاليًا وكل شيء يرفض ما يريده لكنها وافقت، طال البعد بينهما وكانت تريد أن تقترب أكثر لتظفر به ولو بهذه الطريقة، صعدت بجانبه إلى شقته التي تعلم جيدًا كم واحدة سبقتها إلى هذا المكان كانت تتوقع أنها الأخيرة، فتح الباب ودلف إلى الداخل برفقتها فخلع سترته وتحرك إلى المطبخ المفتوح على الصالة ووقف على البار سائلًا:

- تحبي تشربي ولا تاكلي؟

- بتعرف تطبخ ولا هتعك؟

- اختاري أي أكلة وأنا هدوقهالك بطريقة عمرك ما كلتيها قبل كده.

كان عندما يتألم يذهب إلى هذه الشقة مع إحداهن ويحاول إبهارها حتى ينسى ما يحدث كي يهرب من ألمه وأمله، كانت هذه هي الطريق المسدودة التي يسلكها دائمًا:

- نجرسكو.

بدأ في إعدادها وهو يتحرك في المطبخ بخفة منهمكًا وهو يتحدث معها ويخبرها كم هي مؤثرة في حياته متجنبًا الحديث عن أمل ولا حتى ذكر اسمها حتى وإن سألته عنها، كان يتهرب من الكلام، كانت تفهم ذلك أنها محاولة منه للحفاظ على مشاعرها لكنها لم تكن تعلم أنه يهرب من أن يقع أمامها منكبًا على وجهه باكيًا بسبب فقدانه أمل، مرَّ الوقت سريعًا وانتهى طارق من إعداد الغداء (النجرسكو) ثم تحرك بها إليها مباشرة وهي جالسة على الجهة الأخرى من البار ووضع قطعة منها في فمها لتتذوقها، كان طعمها جميلًا، مذاق رائع من طباخ ماهر، سألته وهي تعلم أنه سيكذب عليها فترى الكذب في عينيه:

- وطبخت لكام واحدة قبلي بقى؟

ضحك ثم قال:

- ولا واحدة.

كانت تريد أن تصدقه لكنها تعرف أنه يكذب، تشعر به وترى الكذب في ملامحه، تابع كذبه وهو يقترب منها:

- إنتي الوحيدة اللي دخلت الشقة دي والوحيدة اللي وقفت قدامها كده وطبختلها.

كانت تتناول الطعام وهو يقترب منها أكثر، أخبرها عن حبه لها وعن كيف هي مناسبة له أكثر من أي شخص غيرها، كانت تشعر بأنفاسه قريبة منها تظن أنه يتنفَّسها ولكنه كان يتنفَّس أمل؛ يبحث عن رائحتها بداخلها فشعرت بيده التي تتحرك على ظهرها ولم تحاول الإفلات من يده، كانت تعلم عندما صعدت معه أن هذا ما سيحدث لكنها تذكرت أمل وتذكرت نفسها مرة أخيرة، تركت الطعام وقالت مبتعدة عنه قليلًا:

- أنا عايزة أمشي.

لم يجادلها بلسانه ولكنه تشبث بها قليلًا ثم أفلتها بهدوء ونظر في عينيها قائلًا:

- متأكدة إنك عاوزة تمشي!

ارخت عينيها عنه، عيناه التي لا تستطيع مقاومتهما فقالت بصوت خفيض يكاد أن يُسمع قائلةً:

- آه عاوزة أمشي الوقت اتأخر.

لم يعترض، كل غايته أن يراها، يرى ما كانت تراه أمل منذ قليل وكأنه يتشبث بجسد نيروز، يرى عينيها التي تشاهدها، يرى ملابسها التي التصقت في احتضانه عابرة بينهما، لا يعلم كيف يفكر في كل هذا ولم يفكر في نيروز وكيف تشعر فقط كل ما يتملكه هو وأنانيته

التي لا تنتهي، يعلم أنه سلك نصف الطريق فهذه المرة صعدت معه والمرة القادمة سيأخذ ما يريد مثلما يفعل دائمًا فكل ما يريده أن تشعر معه بالأمان الذي طالما أعطاها إياه، ولكنها تريد الآن أن تشعر بأمان آخر بعدما ترك أمل، بأنه لها فقط، حدَّث نفسه أن لا بأس سينال ما ناله منها من قبل بل وأكثر، وسينال ما لم ينَله من أمل ومنعته عنه، دار كل هذا برأسه وهو في طريقه إلى مكان سترته فارتداها وتحرك لها إلى الخارج حتى لم يحاول معها أن تبقى قليلًا بعدما أفلتها وهو يعلم أن مقاومتها ضئيلة معه، ركبا السيارة سويًا وتحرك بها إلى منزلها وفي الطريق سألها:

- عجبتك النجرسكو؟

- حلوة أوي بس متتعودش على كده.

ابتسم ابتسامة تعلمها جيدًا، تعلم أنها قامت بتأخير ما يريد فقط لا أكثر. وصل إلى منزلها وودعها ثم رحل إلى أصدقائه ليكمل معهم سهرته، بينما صعدت نيروز إلى بيتها واتصلت بأمل لتطمئن عليها لتداوي قليلًا شعورها بالذنب الذي يكاد يفتك بها، فإذا بها تلقي قنبلة في وجهها لم تكن تتوقعها، جاءها صوت أمل متهدجًا من كثرة البكاء الذي هاجمها قائلة:

- كنت مستنياكي تخلصي اللي وراكي وعاوزة أحكيلك على حاجة.

انتاب نيروز القلق فسارعتها قائلة:

- مالك يا حبيبتي في إيه صوتك مش مطمني؟

أخذت أمل نفسًا عميقًا تحاول السيطرة على بكائها قائلة:

- طارق كلمني امبارح كتير جدًا واتصل بيا كتير بس أنا مردتش.

صمتت نيروز قليلًا محاولة كبح جماح غيرتها التي طفت على سطح مشاعرها قائلة:

- بجد!! إمتى؟ مقولتليش يعني أما كنت عندك الصبح.

أجابت أمل وسط تنهيدات متقطعة من بين دموعها:

- ملحقتش أحكيلك زي ما إنتي شايفة.

سارعتها نيروز قائلة:

- يعني إيه ملحقتيش؟

ثم صمتت محاولة كتم انفعالها مستكملةً:

- طيب بطلي عياط وقوليلي حصل إيه؟

حاولت أمل أن تهدئ من بكائها المكتوم فقالت:

- محصلش حاجة بس أنا تعبانة، كنت عاوزة أرد عليه بس مقدرتش.. مبقاش ينفع خلاص.

هدأت نيروز قليلًا من غيرتها ثم تذكرت قائلة:

- هو كلمك إمتى!!

أجابتها أمل وهي تحاول التذكر قائلة:

- مش عارفة بس امبارح بالليل متأخر.

اشتعلت نيروز بداخلها نيران لا تعلم من أين أتت، عصفت بها العديد من الأفكار وحدَّثت نفسها أنه حتمًا اتصل بها بعدما لم ترد عليه أمل، هكذا إذن شعرت بأنها لا شيء سوى أنها مجرد بديل عابر يلجأ إليه عندما لا توجد الملكة معه وهي وصيفتها، احترقت مما حدث وكيف لم تشعر بذلك كيف لم تشعر به وهو يشيح نظره عنها ليخبرها بأنه من المؤكد أنه يحبها، كيف أرادت التصديق! جاءها صوته عندما اتصل بها مخبرًا إياها أنه فقط لا يريد أن يكون وحده..!! لم تكن تعلم لماذا تشعر بكل تلك المشاعر المتناقضة فهي من قبلت من البداية أن تكون بديلًا وأن تكون صاحبة الدور الثانوي لقصة لم تكن هي بطلتها ولن تكون.

أيقظها صوت أمل من دوران الأفكار الذي يعصف بها وهي تقول:

- نيروز مالك إنتي معايا!!

ردت نيروز بصوت خفيض قائلة:

- معاكِي.. بفكر بس في اللي بتقوليه، طب قوليلي بتعيطي ليه دلوقتي ما هو رجع أهو زي ما كنتِ عاوزة أومال مالك بقى؟

-مفيش هو بس وحشني.

عادت نيروز لغيرتها بعد أن وضعتها جانبًا وحدثت نفسها من جديد وكأن أمل متعمدة أن تشعل تلك النيران بداخلها، وكأنها تتعمد إيلامها بعدما شعرت أنه أصبح لها وحدها، «لماذا تفكرين به الآن بعدما اخترتِ بكامل إرادتك أن لا تعودي إليه» عادت من جديد على صوت

أمل وهي تنادي عليها من جديد.

- نيروز إنتي مش طبيعية النهاردة مالك؟

-مفيش حاجة.

ثم حاولت أن تعلم المزيد عن مشاعرها تجاهه بسؤالها:

- طب ما تكلميه أكيد هيفرح بمكالمتك.

ردت عليها أمل منفعلة:

- أكلمه!! أكلمه إزاي بعد كل اللي عمله فيا لا طبعا مستحيل.

اطمأنت نيروز قليلًا ثم قالت مشجعة إياها:

- عندك حق بصي اللي إنتي حاساه دلوقت إنه واحشك مش حقيقي، هو محبكيش يا أمل اللي بيحب حد مبيعملش معاه كده مبيسبهوش فجأة من غير سبب.

شعرت أمل بدعم صديقتها لقرارها بعدم العودة إليه من جديد وكأنها كانت تبث القوة بداخلها فمسحت دموعها وأنصتت لنيروز لتعطيها من القوة ما لا تستطيع أن تعطيه لنفسها في هذا الوقت، فاستكملت نيروز بعدما شعرت بأن هذه هي فرصتها في إغلاق طريق عودة المياه الآسنة إلى مجاريها من جديد قائلة:

- إنتي هتتغلبي على المشاعر دي، عارفة إنتي أصلًا تستحقي حد يحبك بجد حد أحسن منه بكتير هو ميستحقكيش فهماني يا حبيبتي!

أخذت أمل نفسًا عميقًا ثم ردَّت:

- فاهماكي... ربنا يخليكِ ليا.

ابتسمت نيروز كأنها قامت بنصر عظيم.

- ربنا يخليكِ إنتي ليا، يلا نامي دلوقت وكل حاجة هتبقى كويسة.. أوعدك.

أنهت المكالمة بكلام معتاد متمنية لها أحلامًا سعيدة وهدأت قليلًا من أنها لن تعود لمحادثته، كادت أن تحادث طارق لتفرغ فيه طاقة الغضب التي تشتعل بداخلها منه ثم توقفت محدثة نفسها «أنت لي وحدي وسأظفر بك لتكون لي حتى وإن كان رغمًا عنك!».

***

فجر اليوم التالي استيقظت أمل على كابوس عكر صفو ساعات نومها القليلة، استعاذت بالله من الشيطان وارتشفت القليل من الماء وعادت بظهرها إلى السرير في محاولة منها أن ترتاح وتتنفَّس بهدوء ولكن جاءتها صورتها في ذاك الكابوس من جديد لترى نفسها مصلوبة في عمود خشبي في صحراء جرداء خالية من كل شيء وظهرت نيروز من العدم وبدل من أن تقوم بفك وثاقها أحضرت مسامير طويلة وغليظة ومطرقة ثقيلة وبدأت في تثبيت يدها في الخشب بتلك المسامير، فإذا بها تصرخ من شدة الألم في الكابوس إلى أن استيقظت على صوت صراخها، كان الوقت مبكرًا على أي شيء فتحركت في البيت تطمئن على والديها لكنهما كانا في سُبات عميق، جلست في الشرفة تستنشق الهواء البارد الذي يأتي بعد الفجر

مباشرة وقبل بزوغ الشمس فهذه اللحظات تُذكِّرها بأشياء كثيرة مضى عليها أعوام كثيرة، لا تعلم كيف وصل بها الحال إلى هنا وكيف استطاعت أن تعبر كل هذه السنين وحدها وتلقي بنفسها بين يدي طارق.

هذا الشاب الذي أغواها وامتلك كل ما فيها وعندما يئس منها وفشلت كل الحيل والطرق للوصول إلى ما يُريد، ملَّ منها ورحل بمنتهى البساطة والأنانية التي في العالم، غادر محيطها ليتركها إلى نفسها التي تعذبها؛ لأنها لم تستمع إلى إحساسها ولو لمرة منذ بداية تلك العلاقة، كانت مرارًا وتكرارًا تتحدث مع نفسها وتسأل كيف تركت الحياة التي لم يكذبها إحساسها فيها يومًا، وسلَّمت بعد فترة إلى هذا الشعور المزيف الذي لم يقتنع به قلبها ولا عقلها، ولكنها الحياة نعيش فيها في اختبارات وعندما نتخيل أننا نجحنا في أحدها نحصد ثمار الفشل والخيبة، خسرت قلبًا يُحبها وربحت الكذب والخيانة والخذلان، مرت ساعة الصباح سريعًا فقامت لتدخل غرفتها بسبب حرارة الشمس، ولم تكن نيروز قد نامت أكثر من ساعتين وظلت مستيقظة حتى الصباح، لا تستطيع أن تسامحَ نفسَها على ما تفعل ولا تستطيع أن تبتعدَ فهي تحبُّ أمل لكن قلبها معلقٌ بطارق وتراه نصفها الآخر في الحياة.. أرسلت إلى أمل رسالة:

- إنتي صاحية؟

اعتدلت أمل في سريرها وردت:

- آه من الفجر.

- طب أنا هاجي أفطر معاكي قبل ما أروح الشغل.

لم تقم أمل من مكانها وانتظرت قدومها لتقوم معها لتعد كل شيء، في الطريق كانت نيروز لا ترى أمامها سوى أمل وخيانتها لها وتريد أن تصارحها بما فعلت ولكنها لن تستطيع المواجهة، صديقتها التي ساندتها في كل قرار منذ أن عرفتها وكانت عونًا لها كيف استطاعت أن تُخيِّب ظنها لهذا الحد، كانتا أكثر من شقيقتين فكيف استطاعت أن تفعل ذلك بها! ولكنها في النهاية برَّرت لنفسها أنها تُنقذها بالفعل من رجل خائن لم يحبها حقًا!

وصلت نيروز وطرقت على الباب بدقات خفيفة فتحركت أمل وفتحت لها وصافحتها مع عناق طويل يدل على الثقة والأمان التي تشعر بهما معها وليتها لم تفعل! دلفت نيروز للداخل على استحياء وقالت وهي تنظر إلى صديقتها محاولة أن تداري علامات الأرق الذي يظهر عليها قائلة:

- فين الفطار أنا قولت هاجي ألاقيكي مجهزة كل حاجة.

سحبتها من يدها إلى المطبخ وبدأت كل منهما في إعداد شيء من الطعام، انتهيا من كل شيء وخرجا إلى الشرفة وبدآ في تناول الفطار.

- عاملة إيه يا أمل دلوقتي طمنيني عليكي؟

- مش عارفة والله يا نيروز حاسة إن فيه حرب جوايا.

سكتت نيروز لثوانٍ تنتظر أمل أن تتابع لكنها سكتت فسألتها:

- ما إحنا قُلنا خلاص مبقاش في حرب وإنتي انتصرتِ.

كانت متعبة فقلبها منهك وروحها مجهدة مما يحدث فردت:

- جوايا راحة بسبب إني سيبت طارق أو خلينا نقول بسبب إنه سابني عشان أبقى صريحة مع الوضع بشكل أكبر.

هنا شعرت نيروز بأن هذه هي الفرصة المناسبة التي تخبرها فيها بما يحدث لكن أمل تابعت قبل أن تنطق نيروز بأي كلمة:

- وجوايا خوف من إني أكمل لوحدي لأني عمري ما كنت لوحدي.

وقبل أن تخبرها بأنها بجانبها تابعت أمل:

- أنا عارفة إنك جمبي يا نيروز، أنا مش عارفة من غيرك كنت هعدي الأزمة دي إزاي بس إنتي فاهمة أنا أقصد إيه... صح!!

سكتت قليلًا ولكنها لم تكن تنتظر إجابة ولكنها أكملت كأنها تذكرت شيئًا فجأة:

-وبعدين أنا من حقي أفهم أنا اتساب بالطريقة دي ليه... قصرت في إيه؟

رغم أنها كانت تعلم السبب لكنها لم تكن تتوقع أن طارق سيتركها بسببه، الفتور الذي أصاب علاقتهما بعد كل محاولاته في التقرب منها بالشكل الذي يريده جعله يتركها بهذه القسوة، كان الله يعلم كمَّ المجهود الذي بذلته في هذه العلاقة لتنجح، كم التنازلات التي قدمتها لتستمر في هذه العلاقة المؤذية التي استنزفتها بشكل كبير، لم تعد للخلف؛ حتى لا تشعر بالندم على ما أضاعت من يدها لكنها

تابعت:

- أنا تعبت.

اقتربت منها نيروز وضمَّتها إليها وربتت على كتفها دون أن تتكلم وهي تشعر بالألم الذي يسكن قلب صديقتها ولكنها لا تستطيع فعل شيء، فكيف تواسي قلبًا تعمَّدت إيلامه حتى وإن كانت الرغبة هي دافعها، قتلتها بخنجر بارد دون أن تدري، حركتها الشهوة وليس الحُب، فالحب لا يبني على خطيئة، كانت اليد التي تغرس الخنجر بقلبها فخرجت أمل من أحضان نيروز وقالت:

- أنا ندمانة يا نيروز على حاجات كتير حصلت في حياتي.. حاجات ضيعتها وحاجات مكانش ينفع إنها تدخل حياتي أصلا.

صمتت نيروز قليلًا، ثم قالت:

- متندميش على حاجة، إنتي هتبقي أحسن من غيره صدقيني.

-أحسن إزاي، ولو من غيره هكون أحسن ليه ولمين؟

تتبدل أحوال أمل بين لحظة وأخرى كالجريح الذي يحاول النجاة رغم إدراكه بخطورة مرضه وموته المحتم!

وعلى عكس ما جاءت نيروز لتفعل، تبدَّد الاعتراف داخلها وأكلت الغيرة روحها، طارق سرق منها ضميرها دون أن تدري!

***

أخذت أمل نفسًا طويلًا حتى تستطيع حبس الدمعة التي ستسقط

من عينيها فرفعت كوب القهوة إلى شفتيها وارتشفت منه رشفة ثم قالت:

- وصدَّقتها يا عبد الله ودي تاني غلطة أعملها.. صدَّقتها ووثقت فيها ثقة كاملة.

كان عبد الله ينظر إليها ويبتسم، لم تتغير مهما مرَّ عليها الزمن وغير كل ما حولها ظلت هي كما هي أمل التي تكابر حتى وإن كان الضعف يعتصر قلبها، صمت قليلًا ثم قال:

- سيبيها تنزل يا أمل.

- مبقتش عاوزة خلاص، أنا بس اتخنقت من اللي حصل معايا بعد كده.

- خرجي كل اللي جواكي أنا سامعك.

وضعت القهوة مكانها وقالت بطفولتها المحببة:

- اطلبلي قهوة كمان دي خلصت.

أشار إلى النادل وطلب منه القهوة فتابعت أمل:

- آخر حد كنت أتخيل إنه يخوني يا عبد الله هي نيروز.

فقال مندهشًا:

- خانتك!! إزاي؟

-هحكيلك.

***

عاد عبد الله مرة أخرى إلى صديقيه على السطح فجلس على الأريكة الوثيرة وسند قدمه على سور السطح القصير ولاحظ صديقاه ما فيه، مشتت تائه لا يعلم ماذا يفعل، فسأله صالح وكان أقرب له من سالم قليلًا بسبب انشغال سالم بالدروس الخصوصية ووجوده مع صالح وقتًا أكبر في الجيم يتدرب معه لفترات طويلة، كان عبد الله يهتم بنفسه كثيرًا ولا يترك نفسه للطعام السريع والجلوس الكثير على كرسي القيادة، كان يوميًا يذهب إلى صالة الألعاب الرياضية ويحرق دهونه فيعلم صالح عنه الكثير أكثر مما يعرف سالم رغم اقترابهم الثلاثة من بعضهم البعض.

- مالك يابني فيه إيه؟

تنهَّد عبد الله وقبل أن يجيب تكلم سالم بنبرة مازحة.

- ماله يبني ما هو زي الفل أهو متجوز ومش متجوز، مقضيها ومن غير أي مسؤوليات والله يابني يا بختك بالبت أمل دي.

كان صالح وسالم يعتبران أمل شقيقتهما وإن كشفها الزمان يسترانها ولا ينظران إليها أي نظرة تجرحها، رغم علم الجميع بموضوع زواج عبد الله من أمل ولكن يحترم الجميع خصوصيتهما ولا يتدخل أي منهما فيها، أجاب عبد الله:

- الموضوع مش مريح زي مانت متخيل يا سالم.

هز الصديقان رأسهيما متفهمين ما يقول، فتابع عبد الله:

- على قد مانا مبسوط إن أنا وهي مع بعض على قد ما أنا زعلان إني مش عارف أعمل حاجة ومش عارف أتصرف وحاسس إني عاجز!

وقف وسند بذراعه على السور وأخذ نفسًا عميقًا وقال:

- مش عارف أجيب شقة يا سالم وفي نفس الوقت مش عارف أقنع اهلها يوافقوا عليا وعلى ظروفي وإنها تعيش معايا في الشقة مع أمي.. بص هو أبوها طيب جدًا بس هو معيش بنته في مستوى مش عايزها تقل عنه وحقه إنه يخاف عليها أنا لو عندي بنت زي أمل مش هستحمل عليها الهوا بس.

ساد الصمت، كانت أنفاسه وصوته العالي يخبرانهما بما يشعر، أحبها ويحاول أن يكون معها أمام الجميع ولكن دون جدوى، اقترح عليها أن يتزوجها بدون علم أحد لأنه يريد قربها ولا يستطيع أن يتحمَّل أكثر من ذلك ولا يريد أن يخسرها أو يصل بها إلى أشياء ولا يقبلها، أرادها وشرح لها ما يريد فوافقت بحبه فهي تريده ولا تريد أن تخسره فكان كارهًا لكل شيء، للظروف التي منعته عنها، الليل الذي يأخذه منها ووالدها رغم حبه له الذي جاء من حبه لها إلا أنه كرهه لأنه أجبره أن يتقرب من أمل بهذه الطريقة، وقف صالح بجانب صديقه وربت على كتفه فقال وهو ينظر للسماء:

- اهدى يا عبد الله وكل حاجة هتتحل.

- مفيش حاجة بتتحل يا صاحبي، كل يوم بتتعقد أكتر، كل يوم الفرص بالنسبالي بتقل وبالنسبالها بتزيد وأهلها مش ساكتين.

حبس نفسه في ألمه ووجعه، نصف حي مع أمل ونصف ميت بدونها ولا يستطيع أن يخبرها بموته بعيدًا عنها ولا يستطيع أن يعيش معها للأبد، يعلم أن الرحيل آتٍ لا محالة والوقت يسرقهما، يسرق منهما اللحظات السعيدة ولا يستطيع أن يستمتع بها بسعادة صافية، حزين لعجزه أمامها لكنها تحاول دائمًا أن تسنده وتراه بطلًا يفعل المستحيل من أجلها، حاولت مع أهلها مرارًا لكن والدها عند رأيه رغم إعجابه بعبد الله وتذكيره له بشبابه لكنها القوانين التي تربَّى عليها.

- أنا مش عايز أخسرها يا سالم.. بس مش قادر أعمل حاجة.

- يابني مين جاب سيرة خسارة بس، البنت قابلاك وقابلة ظروفك ووافقت تتجوزك بالشكل ده وإنتوا حياتكم ماشية كويس.. فين المشكلة بقا؟

تحرك ناحية براد الشاي ووضع السكر في الكوب وبدأ يضع الماء الساخن فيه، الجو شديد البرودة والهواء يضربهما بقوة فتابع عبد الله:

- المشكلة إن وارد تحمل في أي وقت يا سالم ما إحنا بنمارس حياتنا عادي زي أي اتنين متجوزين والمشكلة إن كل يوم يجيلها عريس وتضطر تقعد معاه وترفضه.. إنت متخيل ده سهل عليا.

خرج صالح عن صمته وتحدث مصيبًا قلب صديقه لكنه يريده أن يفيق:

- ومش سهل عليها يا عبد الله، ومش عشان هي ساكتة وفي

ضهرك يبقى عادي، إوعى تكون بتتكلم معاها أو قدامها كده.. حس بيها ومتبقاش أناني عشان متجيش هي في يوم تقولك إنها ماشية.

كان الكلام قاسيًا لكنه أفاقه، كان يشرد كثيرًا معها فتسأله فيمَ يفكر؟ فكان يهرب منها ولكن كثرة الهروب تُميت المشاعر، التيه يجعلها متبلدة ولا تدري من أي اتجاه ستأتيك الفاجعة، سمع عبد الله كلام صديقه بتركيز وشكره عليه، كان صديقاه يقفان بجانبه في كل كبيرة وصغيرة ويحبانه كثيرًا ويريدان أن يرياه سعيدًا، لكن ثلاثتهم ليس في يده أي شيء لتغيير الحياة، كان المنزل الذي يجلسان فيه هو منزل سالم، فقال عبد الله وهو يأخذ مفاتيحه ليغادر:

- أنا ماشي يا صالح أوصلك في سكتي ولا قاعد.

- لا خدني معاك أنا هموت وأنام.

نزل الصديقان وركبا السيارة سويًا، كان عبد الله يقود دون أن يتكلم على غير عادته فسأله صالح:

- إنت زعلت من كلامي؟

كان كلامه قاسيًا لكن عبد الله تفهَّمه فردَّ:

- عيب يا معلم إنت أخويا ولازم الحاجة اللي ماخدش بالي منها تشاورلي عليها.

- والله يا عبد الله أنا بقولك الكلام ده عشان بحبك ومش عايزك تخسر أمل.

- عارف يا حبيبي وأنا مستحيل أخسر أمل.

لا يوجد في الدنيا مستحيل فكل ما ترجوه يحدث وكل ما تخاف منه يحدث أيضًا، كان خائفًا أن يخسرها فخسرها، كان يحاول الاحتفاظ بها فتسرَّبت من بين يديه دون أن يشعر، وصل إلى منزل صديقه وصافحه أخيرًا وغادر إلى منزله وصعد سريعًا دالفًا إلى غرفته وألقى بجسده على السرير متصلًا بها:

- أنا آسف حقك عليا متزعليش مني.

عدلت نفسها في جلستها وهي تشعر بالقلق من كلامه خاصة أنه لم يحدث شيء فقالت:

- مالك يا حبيبي حصل إيه... بتتأسف على إيه؟

- على الخوف اللي دايمًا موصلهولك وقلة الحيلة اللي مش عارف أعمل بسببها حاجة في حياتنا وموضوعنا.

تنفست الصعداء وقالت وهي مبتسمة:

- أنا بحبك ومش هسيبك ماتخافش بس أهم حاجة إنت ماتسيبش إيدي مهما حصل.

- عمري ماهسيبها أبدًا.

5

استيقظت أمل في منتصف الليل وهي تلهث من فرط المجهود المبذول، حبَّات العرق تزيِّن جبهتها والليل يعاتبها على ما تفعل في نفسها، الحب بريء من كل ما يحدث لها ولقلبها، مرَّ ثلاثة عشر يومًا على فراقها للشخص الذي قررت أن تكمل معه حياتها بعد فراق أصعب ولكن هذا كان أكثر إيلامًا لأنه ليس لها فيه قرار وكأنها لوحة قرر رسَّامها أن ينهيها فورًا قبل أن يكتمل حبرها على جميع أطرافها.

كان الظلام حالكًا ولا ترى يديها من شدته، صوت الهواء في الخارج شديد، فقامت من مكانها وإلى الشرفة تحركت بخطوات خفيفة حتى لا تُقْلِق والديها وتناولت رواية في طريقها لتقضي معها الليل، بدأت تقرأ والهواء يضرب وجهها يمينًا ويسارًا، كانت الكاتبة غاضبة وكلماتها واضح عليها شدة الألم من حبيبها، كانت ترى نفسها بين السطور وتمنَّت أن تكون الكاتبة لتشفي غليلها لتكتب نفسها لتطيل في عمر تلك القصة وتنهيها كما أرادت، كان حبه مؤلمًا، موجعًا، قاتلًا، قتل فيها كل ما تبقى فتسأل نفسها منذ أن سمعته يخبرها بأنه لن يكمل بعد الآن، هل هذا ذنبها أم ذنب إخلاصها أم ذنب حب قديم لم تكمله لآخره، فجاء من يذيقها من نفس الكأس... مهلًا! هي صبرت إلى آخر الطريق ولم تقرر الرحيل في منتصفه، كانت موجودة إلى النهاية وكتبوها سويًا، تعرف أنه لم يكن راضيًا لكنهما كانا شريكين فيها.

ولكن الآن ماذا حدث، فجأة وبدون أي مقدمات قالها بكامل وعيه

«أنا مش هكمل» كانت ضربة قوية لكل المسلمات والحواجز التي عبرتها لكل المخاوف التي تخطتها لتستمر في تلك العلاقة، لم يُمهِّد حتى لهذا القرار وفجأة قالها ولم يترك لها خيارًا، لم تشعر بالشمس وهي تشرق عليها وهي في الشرفة وهي تلتهم الصفحات، ورقةً بعد ورقة حتى وصلت للنهاية ولم تَشْفِ النهاية غليلها رغم قوة الكاتبة في وصف الأحداث والانتقام من حبيبها الذي أنهى حياتها بهذه الطريقة ومازالت تتنفَّس بعد أن رحل.

لم تكن تعرف أنها تمتلك تلك الموهبة، الجميع أخبرها بأنها متكلمة رائعة لكنها لا تعلم إن كانت تستطيع أن تعبِّر عما بداخلها في كلمات وسطور أم لا، كان الفراق أليمًا فترك في ملامحها أثرًا وفي قلبها ندبًا لا يشفى.

تجاهلت اتصال نيروز ثم أغلقت هاتفها وارتدت ملابسها السمراء وارتدت نظارتها ثم أخذت حاسوبها المحمول وصافحت والديها ورحلت، قررت أن تكتب كل ما حدث وكل شيء في مكانه ولم تكن تريد أن تكتب بالترتيب لكن هذا أول ما جاء بخاطرها، تلك المرة التي حاول فيها أن يشدها إلى ذلك الطريق لكنها قاومت وشدته بعيدًا عن كل تلك القذارة الغارق فيها.

جلست أمام النيل مباشرةً وطلبت قهوةً بدون سكر، تريد أن تتذوق مرارتها كمرارة ما حدث لها، كمرارة حبها له، كانت تراهما من خلال ذكرياتها وهما جالسين على الطاولة التي أمامها مباشرة وهو يحاول مسك يديها فنهرته بنظرة محذرة فقال وهو يعود بيده لمكانها:

- مش معقول يعني حتى مسكة إيدك مش عايزاني أمسكها.

- يا طارق مبحبش كده..

ابتسم وهو ينظر إلى عينيها مباشرة مخترقًا رأسها محاولًا فهمها فقال:

- أومال بتحبي إيه؟

كان ينتظر منها أن تخبره أنها تحبه لكنها لم تقُل، كانت تائهة لا تعلم ماذا تقول فقالت وهي تنظر في قائمة الطعام:

- أنا بحب كل حاجة تبقى في وقتها.

سكتت قليلا وهي تضع تركيزها في قائمة الطعام فتابعت:

- شوف بقى هناكل إيه، أنا سبت أكل لطيفة شخصيًا ووافقت أخرج معاك بعد الشغل بعد إلحاحك إننا نتغدى سوا.

- هطلبلك الإسكلوب اللي بتحبيه.

ضحكت فوقع في غرامها أكثر وهو لا يستطيع أن يصف ما يشعر به أمام ضحكتها، من السهل أن تصف الأنثى لكن من الصعب أن تصف أمل.

- بتعرف تدخلي من ثغراتي.

ابتسم طارق فرد:

- مذاكر كويس أنا برضو، ومعاه بطاطس كتير صح؟

أجابت:

- صح.

شاور للنادل وطلب ما يريدون ثم أضاف:

-وبطاطس حجم كبير.

تحرك النادل ليحضر لهما الطعام فاقترب طارق منها بالكرسي وقال:

-أنا محتاج نقرب أكتر يا أمل.. محتاج أحس بيكي.

لا تعلم هل هي رافضة لما يريد؛ لأنها قررت عدم تكرار ذلك، أم أنها لا تستطيع أن تشعر بهذه الحالة إلا مع شخص واحد ولن يتكرر، وإن كان لن يتكرر فكيف تحمَّلت أن يغيب عنها كل هذه السنين... ثلاث سنوات تغلق قلبها عن كل شيء فاندهشت أنه جاء على خاطرها قبل أن ترد، وقالت وهي تعدل خصلات شعرها المنسابة على عينها:

- يا طارق يا حبيبي أنا مش هعمل ده.. بطل بقى.

سكت وساد الصمت قليلًا فتابعت:

- بص يا طارق أنا عارفة كويس إنت مريت بإيه وعارفة كويس كم العلاقات اللي دخلتها وكم البنات اللي كانوا في حياتك.. بس أنا غير، أنا مبعملش حاجة غلط لأني مش عايزة أغلط.. فاهم.

هزَّ رأسه في إيجاب فقالت وعيناها تتسعان سعادةً وبهجةً:

- الأكل وصل بقى.

وضع النادل الطعام أمامهما فبدأت فورًا في أخذ أصابع البطاطس ووضعها في فمها، كانت السعادة تملأ وجهها فهذه هي أكلتها المفضلة ورغم ذلك كان جسدها متناسقًا لا يصيبه الزيادة أبدًا، أكلَ كلٌ منهما طعامه فقالت:

- يلا بقى عشان توصلني.

تحركا إلى الخارج وركبا السيارة فقال:

- طب تحبي طيب نطلع الشقة تبصي عليها بصة قبل ما تروحي؟

كان لا يمل ويصر على ما يريد ويتوقع أن تستسلم لكنها أمل، مهما ظن أنه يعرفها فهو لا يعرف عنها شيئًا فقالت:

- ولما أطلع معاك وننزل من فوق وقفاك يقمر عيش؟!

ولم توافق على ما يريد ورفضت بشدة رغم إلحاحه فتحرك بها إلى منزلها دون أن ترضخ لمراده.

***

ابتسم عبد الله دون أن يعقب فتحدثت:

- اسأل يا عبد الله أنا عارفة عينيك وهي مليانة أسئلة بتكون عاملة إزاي.

خرجت ضحكته رغمًا عنه، كانا مع مرور الدقائق التي يجلسان فيها سويًا يعودان بالزمن لسنين مضت رغمًا عنهما وإن حاول الاثنان أن يتجنبا ذلك، وعادا بقوة لأول لقاء لهما، لم يسأل فقالت:

- اسأل وبطل تقاوح.

حاول جاهدًا أن يمسك ضحكته ولكنها فلتت منه رغمًا عنه مرة أخرى؛ لأنه يعلم الإجابة ويعلم أنها عادت إليه بعد كل تلك السنين العجاف التي مرَّت وكل منهما بعيدًا عن الآخر، قائلًا:

- رفضتي تطلعي ليه، عشان فعلا مش عايزة ده ولا عشان مقدرتيش تكرريه مع حد تاني!

وبسؤاله هذا أخذها بعيدًا إلى اللقاء الأول، للمرة الأولى التي صرَّح لها بحبه فيها ولاشتياقه إليها ولرغبته في أن تكون بين ذراعيه دون حائل بينهما، كان ما في قلبها له أقوى من الدنيا وما فيها، لم ترفض ولكن هي التي اقترحت أن يكون كل شيء في مجراه الصحيح ووافق ولم يفكر، أجابت وهي ترتشف قهوتها.

- متغيرتش يا عبد الله حتى وإنت بعيد عني عارف أنا هعمل إيه وأخري فين وإزاي مش هقدر أعمل أي حاجة حتى لو الدنيا بحالها ضغطت عليا.

لم يكن يعرف أنها قررت الرحيل من أجله، فشل كل منهما تلك السنين في أن يدخل علاقة ناجحة وكل منهما دخل علاقات مؤذية أوصلتهما في الأخير إلى بعضهما البعض دون أن يسيطر على نفسه، وضع يده على يديها وربت عليهما وطلب منها أن تكمل الحكاية، يريد أن يعرف كل شيء وصل بها لهذه الحالة؛ لأن بعد أن تنتهي سيمحو كل ذلك عنها بطريقته، بالطريقة التي تعوَّد أن يفعلها معها دائمًا.

***

تهرب أمل من عينيه إلى السماء فيلتقطها ويعود بها مرة أخرى إليه وهي تحاول الهرب ثانية فيمسك يديها لتتصل أوردتهما ويجري دمها بين عروقه ونبضاته في قلبها، لم تشعر بكل هذا الترابط مع أي شخص ولا كل هذا الحب، من الممكن أن نسميها الحياة التي تمنتها رغم جنونها إلا أنها رضخت لمشاعره فكانت أسيرته ومحبوبته وكل شيء له، أصبحت مدينته التي يسكنها وجنته التي يعيشها على الأرض، كانت في الطريق إلى السخنة وتجلس بجانبه وتضع يديها على يده التي تمسك ناقل الحركة والهواء يضربهما بقوة، قوة تزيدهما قربًا فكانت تبتسم وتنظر إليه بشغف تفتقده.

- إحنا رايحين فين؟

- رايحين أول مكان قولتيلي فيه بحبك... فاكرة!!

ضحكت لأنها تتذكر ما حدث بتفاصيله، نظر لابتسامتها بحب واضح على ملامحه وعين تلمع من شدة تعلقه بها فكان كل شيء يتلخص فيها.. هي فقط.

- سنة يا مفترية عشان تقوليلي بحبك... سنة أفضل ألف وراكي من هنا لهنا، لفقتيني الدنيا كلها عشان أسمعها.

- بس بذمتك لما اتقالت في وقتها كان طعمها عامل إزاي.

اعتدل في جلسته أمام المقود وهو ينظر في المرآة ليتأكد من أن الطريق خالٍ وليطمئن أكثر عليهما على هذه السرعة، اقترب منها

وعيناه على الطريق فلثم شفتيها برقة دون أن يلتهمها، فقط لمسها وتذوَّقها ثم عاد مكانه، يعرف ما سيصيبها بعد هذه القبلة أو هذه الرجفة التي اقتحمت أطرافها جميعًا.

- كان طعمها عامل كده بالضبط.

احمرت وجنتيها خجلًا، فمهما كان ما يحدث بينهما هي سيدة من طراز فريد، تستطيع أن تكون مجنونة لا يعنيها أحد وتستطيع أن تكون تلك الأنثى التي خجل من جمالها القمر، تأكدت أنها في الطريق إلى البحر.

- طب رايحين نعمل إيه في السخنة؟

- عميل كان واخد رقمي عشان لو احتاج مشاوير خاصة عنده صفقة في السخنة ونسي ورق مهم وكان لازم يكون عنده في ساعتين فكلمني لأنه هيكون أسرع من إنه يستنى السوبر جيت.

زادت سرعة السيارة وهما يقتربان من وجهتهما فقال:

- لقيتلك حتة أغنية فلسطيني من اللي بتحبيهم دول.

أشرق وجهها أكثر لأنها تعشق الموسيقى الفلسطينية، تعشق كل ما له علاقة بتلك الأرض وتتمنى زيارتها في يوم من الأيام، وضع عبد الله الأسطوانة في مكانها وضغط زر التشغيل، اقتربت أمل منه وتركت رأسها في مكانها المفضل على كتفه في لوحة فنية لا تستطيع أن تتخيل جمالها والراحة في النظر إليها، خرج صوت «يسر» من السماعات الجانبية للسيارة، «والتقينا..» دخل صوتها إلى

قلب أمل مباشرة، قالت بصوت فرح وحنون:

- دي «يُسر»!

- عارف إنك بتحبيها فدورت على أجدد حاجة مسمعتيهاش وجبتها.

قبَّلته في كتفه فقبلتها مرت إلى قلبه مباشرة «والتقينا.. كام مرة بس.. شدتيني ليكي بلشت أحس.. كان قلبي سامع.. من جواكي ما في مانع.. استنى فيكي تحكي والحكي مني ضايع».

لم تشعر بباقي الطريق فكانت سارحة في الموسيقى وعبد الله، كلاهما عندها في نفس المكانة ثالث شيء في قلبها البحر، وسحره الذي يتحرك بداخلها بأمواجه، كانت تحبه ولا تدري ما ذنبها أن جاء حبه في قلبها بهذا الشكل ولا تترك فرصة في الهرب إليه ولا تمانع أن تسافر له بلادًا كثيرة، المهم أن تكون بين أحضانه وإن غرقت لا يهم، المهم أنها في حضرته، شعرت بالسيارة تقف وقبل أن ينزل عبد الله منها قال وهو يتناول الملف من جانبها:

- هسلمه بس الورق ونطلع بقى على البحر علطول عشان ناكل سمك.

- يابني هنصرف فلوس المشوار على الأكل كده!

ابتسم وهو يقبل يدها التي تمسك ذراعه:

- فداكي الدنيا كلها يا حبيبتي.

تحرك ناحية صاحب الورق، بمجرد أن اقترب منه ابتسم الأخير

بترحاب فقال:

- حمد الله على السلامة يا عبد الله، متأخرتش إنت كنت قريب من الشركة ولا إيه؟

ناوله عبد الله الملف ثم قال:

- لا والله يا مستر خالد بس لما حضرتك أكدت عليا إنك مستعجل اتحركت على طول.

همَّ عبد الله للتحرك عائدًا إلى السيارة فأمسك خالد به وكان الأخير خمسيني العمر، شعر أبيض وبنيته قوية وبابتسامته اللطيفة قال:

- لا استنى عشان هتتغدا قبل ما ترجع.

حاول عبد الله أن يعتذر لكن خالد أصرَّ فقال:

- أصل أنا مش لوحدي... استغليت إني جاي السخنة وجايب صديقتي عشان تشوف البحر وأغديها سمك ونرجع على طول.

- ضيوفك ضيوفي يا عبد الله إنت أنقذتني.

أشار خالد لأحد مساعديه وهمس في أذنه قائلًا:

- خد عبد الله وضيوفه وعرف الناس بس إنهم تبعي عشان محدش يضايقهم.

شكر عبد الله الرجل مرة أخيرة، أعطاه خالد مقابلًا ماديًا ممتازًا مقابل تلك الرحلة السريعة. أشار عبد الله إلى أمل أن تقترب فنزلت

من السيارة وتحركت إليه فأخذها ودخل إلى المبنى الكبير، كان مكانًا فخمًا، مرَّا بحمام السباحة إلى المطعم ويهمس المساعد في أذن طاقم العمل أنهما ضيفا مستر خالد فرحب بهما الجميع، ساعدوهما في الجلوس بإحدى الطاولات المطلة على البحر مباشرة فقاموا بتقديم جميع أنواع المأكولات البحرية إليهما وقبل أن يأكل أحدهما أي شيء، قال عبد الله:

- قدام البحر ده بليتي ريقي بأحلى كلمة سمعتها ودني.

سكت قليلًا ثم قال هو ينظر إلى البحر:

- لسه بتحبيني يا أمل!

وضعت أمل كوب القهوة مكانه، لم ينطق بهذا السؤال لكنه كاد أن يقفز من عينيه، كانت دائمًا تسأل نفسها هذا السؤال لكنها الآن وبعد ثلاثين يومًا من الألم والعذاب، تيقَّنت أنَّها لم تحب غيره، أن كل هذا الألم كان على فراق عبد الله فقط لأنه الخسارة الوحيدة التي خسرتها، الحرب الوحيدة التي دخلتها وخسرتها ولم تنهِ جولاتها حتى الآن.

***

في منتصف المنزل وعلى الأريكة الوثيرة يجلس فؤاد ولطيفة يشاهدان التلفاز والساعة تخطَّت التاسعة بقليل، صوت الست يخرج من التلفاز يرجُّ أركان المنزل وقلوبهم تتحرك مع كل كلمة تقولها: «كان لك معايا.. أجمل حكاية في العمر كله»، ترك فؤاد رأسه على كتف لطيفة وعاد بالزمن للخلف كثيرًا فكانت هذه هي الحكاية

الجميلة التي لخصت عمره كله، قبَّل كتفها دون أن يلتفت إليها فراحت يدها تلمس وجهه بنعومة ودفء، الحب حاضرٌ والست أم كلثوم شاهدة عليه «سنين ومرت.. زي الثواني.. في حبك إنت.. وإن كنت أقدر أحب تاني.. هحبك إنت.. كان لك معايا.. أجمل حكاية في العمر كله»، أمسك فؤاد الريموت وقام بتهدئة الصوت قليلًا ثم قال:

- ما تقومي تعمليلنا فشار وكوبايتين شاي خلي القعدة تحلو.

- يا راجل حرام عليك محنا لسه شاربين شاي من شوية وبعدين عايز تعكنن عليا وتقومني من قدام الست ليه؟

مسك يديها ولثَّمهما ثم قال وهو ينظر في عينيها:

- أقوم أنا يا روحي أعمل الفشار والشاي بس ترضي عني.

مرَّت كلماته خلال قلبها فشعرت أنها أخطأت رغم أنه لم يستأ من ردها، هذا هو أثر الكلمة الطيبة، شعرت بالطاقة تدب في جسدها وهمَّت لتقوم لتفعل له ما يريد لكنه صمَّم أن يقومَ مكانها، تحرك إلى المطبخ القريب من الصالة ثم قال:

- علي الصوت بقى يا حبيبتي عشان يوصلني وأنا هنا.

«كل العواطف الحلوة بينا.. كانت معانا حتى في خصامنا»

وقف فؤاد يملأ البراد بالماء، ويضع حبات الذرة في وعاء بعد أن وضع نقطة زيت وأشعل النار على الماء والذرة وقف بمزاج يفعل كل ذلك بحب ويتمايل على صوت أم كلثوم بمنتهى الهيام، «وإزاي تقول أنساك.. وأتحول.. وأنا حبي لك أكتر من الأول.. وأحب تاني ليه..

وأعمل في حبك إيه.. دا مستحيل.. قلبي يميل ويحب يوم غيرك أبدًا أبدًا.. أهو ده اللي مش ممكن أبدًا».

خرج فؤاد من المطبخ يحمل طاولة صغيرة عليها حبات الذرة البيضاء وكوبي الشاي وجلس بجانب زوجته وهو يقول:

- أحلى كوباية شاي لأحلى لطيفة في الدنيا.

- ربنا ما يحرمني منك يا فؤاد.

استند كل منهما على الآخر، وبدآ في تناول الشاي والفشار ولم يشعر أي منهما بصوت الباب وهو ينفتح وتدخل أمل لتراهما غارقين مع الأغنية وكل منهما يسند رأسه على الآخر بحب وحنان، اقتربت منهما وجلست بجانبهما وأخذت كوب والدتها وارتشفت منه رشقة صغيرة وأخذت بعض حبات الذرة وتذوقتها.

- الله حلو أوي الفشار ده.. تسلم إيدك يا ماما.

قالت لطيفة وهي تربت على يد زوجها:

- تسلم إيد بابا بقا.

- إيه ده بجد.. بابا اللي عامل الواجب ده؟

هزَّت لطيفة رأسها بإيجاب فقالت أمل:

- طب أنا عايزة أتكلم معاكم في موضوع مهم.

وكأن الوالدان يعرفان ما تريد، أغلقت لطيفة التلفاز وقال فؤاد وهو يضع كوب الشاي أمامه بملامح حادة:

- لو هتتكلمي في موضوع عبد الله تاني بلاش يا أمل.

- يا بابا أنا معنديش غير موضوع عبد الله أتكلم فيه وبصراحة مش مقتنعة بالكلام اللي اتقال

قام فؤاد من مكانه واقفًا، وهو يأخذ كوب الشاي متحركًا ناحية الشرفة قائلًا:

- قولي حاجة لبنتك يا لطيفة.

نظرت أمل لوالدتها التي تنفست بعمق ثم قالت بهدوء:

- بابا عايز يكون مطمن عليكي يا أمل، إحنا يا بنتي مش باصين لأي حاجة غير إنك تكوني مبسوطة ومرتاحة بس عبد الله مينفعش.

زفرت بضيق لكنها تحكَّمت في ردة فعلها:

- ليه يا ماما مينفعش؟

- عشان إحنا يا أمل مش هنقبل تعيشي في مستوى أقل من ده.

ارتشفت من الشاي القليل ثم تنفسَّت ببطء وتابعت:

- آه إحنا مش مستوانا عالي أوي لكن الوضع بالنسبالنا كويس فمينفعش نسيب بنتنا تتجوز في شقة مع حماتها لأن جوزها مش عارف يجيب شقة.

تنهَّدت ثم تابعت مرة أخرى:

- مينفعش يا حبيبتي... مش هترتاحي ومش هتحسي إنه بيتك ولا مملكتك اللي مستنية عمرك كله تشكليها على مزاجك، كفاية إنك

مش هتعرفي تبقي مع جوزك براحتك عشان مامته دايما موجودة.

- أنا راضية يا ماما، أنا موافقة وعارفة خطورة القرار ده بس أنا راضية وعايزة عبد الله.. أنا مش قادرة أتخيل حياتي من غيره.

قامت لطيفة من مكانها وتحركت ناحية زوجها في الشرفة فتبعتها أمل.

- أنا مبقتش صغيرة يا بابا، أنا مبقتش صغيرة يا ماما.. أنا عايزة عبد الله وعايزة أكمل حياتي معاه وأظن إنكم عمركم ما هتغصبوني إني أتجوز حد غيره.

التفت والدها إليها قائلًا:

- ولا إنتي هتغصبينا إننا نوافق عليه.. عايزة تتجوزيه روحي اتجوزيه لوحدك من غير أب ولا أم معاكي في الحكاية دي إنما أنا مش موافق.. يابنتي الراجل اللي ميقدرش يجيب بيت لمراته تعيش فيه يبقى ميستاهلهاش.

حاولت كتم غضبها وأخذت نفسًا طويلًا ثم قالت:

- يا بابا حضرتك مش موافق إني أعيش معاه ومع مامته ولا موافق إننا نتجوز في شقة إيجار.

وضع فؤاد كوب الشاي على سور الشرفة وقال:

- يا بنتي أنا كنت شباب زيكم بالظبط واللي بيدور في دماغكم أنا عديت عليه قبل كده، تتجوزوا في شقة إيجار ولما تبقي مراته بقى ياخدك يرجع بيكي على شقة والدته... ينفع!

- وإيه اللي قل نفعه يا بابا؟

نظر فؤاد لابنته نظرة حاسمة لكل هذا الجدال:

- الكلام خلص في الموضوع ده يا أمل.

6

تجلس على مكتبها ولا ترى أي شيء إلا شاشة الكمبيوتر أمامها وهي تصب تركيزها صبًا عليه حتى تنتهي من عملها، يرمقها طارق بنظرات متتالية من مكتبه الزجاجي القريب منها ولا ترى ولا تشعر بأي شيء إلا دقات يديها على لوحه المفاتيح وهي تطرق عليها طرقًا، تعمل بجد، تبذل مجهودًا كبيرًا وتفعل الذي طُلِب منها بإخلاص شديد، دلفت المكتب إحدى زميلاتها ولم تشعر بها إلا عند وضعها لتلك الدعوة أمامها مباشرة، بمجرد أن انتبهت لها أشرقت ملامحها وابتسمت ابتسامة صافية وجميلة وقامت من مكانها وضمتها إلى قلبها وقبَّلتها.

- إنتي مش إجازة يا بنتي إيه اللي جابك.

- أومال أخلي مين ينزل يديكم دعوات الفرح يا حبيبتي..

- مبروك يا روحي وربنا يتمملك بخير يارب.

أمسكت أمل الدعوة وباركت لصديقتها مرة أخرى ولفت نظرها مكان الفرح.

- الجونة! ومين هيجيلك الجونة بقى.

ضحكت على تعقيب صديقتها وقالت:

- الكل جاي يا أمل.. ظبطي بقا مع أي حد معاه عربية وتعالي.

وقبل أن ترد أمل، قالت صديقتها:

- وتظبطي مع حد ليه أصلا.. طارق جاي فأكيد هتيجي معاه.

كان جميع من في الشركة يعلم ما بين طارق وأمل، يتابعون تعاملهما مع بعضهما ونظراتهما ولكن لا يعرف أي منهم ما دار بينهما خارج الشركة إلا نيروز، دخلت نيروز عليهما المكتب فأخرجت صديقتهما الدعوة الخاصة بها قائلة:

- إوعي متجيش.

ضحكت نيروز وهي تضع الدعوة جانبها.

- جاية أنا وأمل وطارق متخافيش.

لم تستغرب أي منهما، توقعتا أن تكون قد مرَّت على طارق وعلمت منه بالفرح ومكانه، لم تسألها أي منهما فابتسم الجميع وتركتهما العروس لتتابع توزيع باقي الدعوات على زملائها، بمجرد أن خرجت دلف طارق المكتب مبتسمًا وقال:

- هنتحرك بقا الخميس بالليل من القاهرة نبات في الجونة.. نحضر الفرح ونرجع براحتنا بالليل.

قالت نيروز:

- حلو أوي ده.

خرجت أمل عن صمتها وقالت:

- أنا لسه معرفش لازم أقولهم في البيت ومعرفش هيوافقوا على موضوع البيات ده ولا لا..

اقتربت منها نيروز وقالت:

- أنا هاجي معاكي وأقنعهم متخافيش.

خرج طارق من المكتب وهو يخبرها بأن تقنع أهلها لتقضي معهم يومين في الجونة تخرج فيهما عن النظام الدائم لحياتها وتفصل فيهما عن كل شيء، هزَّت أمل رأسها بابتسامة ثم نظرت لنيروز قائلة:

- مين دول اللي تقنعيهم إنتي مش عارفة بابا يعني!!

- هنحاول يا حبيبتي.

انتهى يوم شاق في العمل وركبت نيروز مع أمل السيارة الأجرة إلى منزلها، أخذت هاتف صديقتها وفتحته واتصلت بوالدتها، ردَّت عليها مباشرة فقالت نيروز:

- أنا جاية مع أمل يا لطيفة.. حضريلنا غدا حلو بقا على ذوقك.

ابتسمت أمل لتلقائية صديقتها، وللكلمة التي سمعتها من والدتها في السماعة التي وضَّحت ما قيل في الجهة الأخرى، أغلقت نيروز الخط وقالت:

- هيبقوا يومين حلوين أوي والله.. هنغير جو بدل الشغل المستمر طول الوقت ومش عارفين نخرج خالص ده.. وأهو بالمرة تقعدي مع طارق شوية لوحدكم بره ضغط الشغل.

كانت تعلم ما يدور بين طارق وأمل والمشاكل التي تحدث كل فترة بسبب تغيره معها وتغير حاله دومًا ومحاولته لجذبها إلى تلك الدائرة التي لن تكون نقطة فيها مهما فعل.

وصلتا إلى المنزل وصعدتا السلالم مسرعتين ودلفتا كل منهما الباب مسرعة إلى السفرة مباشرةً، كانت لطيفة في انتظارهما بما لذَّ وطابَ من الطعام، ألقت كل منهما التحية على فؤاد:

- إزيك يا عمو.. عامل إيه؟

- إزيك يا بابا.

اكتفى فؤاد بالابتسامة وهزَّ رأسه ترحيبًا بابنته وصديقته، بينما لطيفة أخذت عنهما حقائبيهما لتجلس كل منهما على كرسيها أمام الطعام مباشرة. كانتا جائعتين، أكلتا بنهمٍ حيث بدأت نيروز في الكلام:

- أنا عايزة أستأذن حضرتك في حاجة يا عمو.

خرج فؤاد عن صمته:

- خير يا بنتي؟

بدأت تتحدث نيروز بينما أمل صامتة لا تتكلم، أخبرته عن حفل زفاف زميلتهما في العمل الذي سيُقام في الجونة يوم الجمعة القادمة وأنها تطلب الإذن منه في أن تسافر أمل معها من يوم الخميس وتبيتان في الجونة وتحضران الفرح وتعودان الجمعة ليلًا، ابتسم فؤاد وقال:

- أمل عارفة إن بيات برة البيت لوحدها مرفوض.

لم ترد أمل بينما جاوبت نيروز:

- عارفة والله يا عمو بس هي مش لوحدها.. أنا هكون معاها ومعانا زمايلنا ومش هنكون لوحدنا وكلنا مسافرين سوا منه يبقى ويك إند لطيف، وفي نفس الوقت بنحضر فرح صاحبتنا.

أنهى فؤاد طعامه ووقف مكانه قائلًا:

- آسف يا بنتي مش هينفع وأمل عارفة كده كويس.

وكان صمت أمل طوال الطريق وأثناء جلوسها لأنها كانت تعرف رد أبيها، حنون عليها لكنه وضع قواعد لذلك المنزل ولن يغيرها أبدًا، يناقشهم دومًا لكن تحت إمرة القواعد، يحترمهم ويحترمونه، يقدرهم ويقدرون ما يفعل لهم ليعيشوا تلك الحياة الكريمة، انتهى الجميع من تناول الطعام وهمَّت نيروز بالرحيل وهي تخفف عن أمل هذا الموقف السخيف، فقالت أمل:

- أنا كنت عارفة إن ده اللي هيحصل واتعودت.

رحلت نيروز إلى بيتها ودخلت أمل غرفتها لتجد رسالة من طارق يخبرها فيها أنه يفتقدها وينتظر يوم الخميس بفارغ الصبر ليسافر معها بمفردهما إلى الجونة، لم ترد ونامت من الإرهاق، علم في اليوم التالي طارق بما حدث ولامها على عدم إقناعها لوالدها لكنها لم تدخل معه في هذا النقاش من الأساس، كان هناك حاجزٌ بينها وبينه لا تعلم سببه لكنها تحاول أن تكذب نفسها ومرَّت الأيام سريعة عليهما إلى أن أتى يوم الخميس.

مرَّ اليوم عاديًا كباقي الأيام، يوم مرهق في العمل لا يوجد بينها وبين أحد أي كلام، تعمل بجد، تريد أن تترقى أكثر وتحصل على

موقع أفضل في وقت قليل، انتهى اليوم وهي تودع صديقتها، وقف الثلاثة أمام الشركة قبل المغادرة فقالت أمل:

- هنتقابل بكرة الساعة كام وفين عشان نتحرك سوا؟

تبادل طارق ونيروز النظر إلى بعضهما قليلًا ثم قال:

- إحنا مسافرين النهاردة مع باقي أصحابنا عادي وبكرة هرجع أخدك أنا.

سكتت قليلًا ولم تعقب، قالت نيروز:

- لو عايزاني أستنى معاكي لبكرة أنا معنديش مشكلة بس البيت عندي تمام معندهمش مشكلة إني أسافر الخميس فقُلت أغير جو بس والله.

انتبهت أمل من شردوها وقالت:

- لا مفيش مشكلة.. سافروا النهاردة وأنا هحجز سوبر جيت وهحصلكم بكرة.

كانت تثق في صديقتها ثقة عمياء، قال طارق:

- لا أنا هاجيلك بكرة.

- تعب عليك المشوار ده كذا مرة.. ارتاح إنت عشان بكرة هتسوق بالليل وإحنا راجعين.. وأنا هاجي سوبر جيت.

ركبت أمل السيارة الاجرة وتركت طارق ونيروز أمام الشركة يتفقان على كل شيء.

***

- أنا مش عايزة أكدب يا عبد الله.. كفاية الكدبة الكبيرة اللي كدبتها على أهلي.

ضغط عبد الله على المكابح بقوة لتقف العربية مرة واحدة في منتصف الطريق ووضعها جانبًا ثم نظر لها وتكلم بهدوء يسبق عاصفة شديدة:

- لو عايزة نرجع.. أرجعك.

لم ترد فساد الصمت لثوانٍ فتابع:

- لو شايفة إني معملتش اللي عليا عشان أهلك يوافقوا بيا يلا نرجع وبلاش السفرية دي.. إنتي متعرفيش أنا عامل إيه عشان نهرب يومين من كل القرف اللي حوالينا.

شعرت أنها سخيفة لأبعد الحدود وهي التي طلبت منه هذه السفرية لتفصل عن كل شيء معه، معه وحده ولا أحد حولهما، اعتذرت عما قالت ثم قبَّلت كتفه ليصفو ناحيتها ويروق باله، فنظر لها بعين غاضبة لكنها تحبها.

- أنا بحبك يا أمل وعايز الدنيا كلها تعرف إننا متجوزين بس أبوكي مش قادر يساعدني ولا سايبنا نساعد نفسنا.. أبوكي مأزمها أوي.

كان الوقت متأخرًا والمسافة طويلة أكثر من ثماني ساعات ولم يمض منها إلا نصفها، شعر عبد الله بالإرهاق فقال لها:

- إيه رأيك ننام ساعتين في أي استراحة ونكمل بعد الفجر.

وافقت أمل على الاقتراح فداس على البنزين أكثر ووصلا إلى فندق صغير مكون من طابقين وبناؤه قديم، نزل من السيارة وأخذها أسفل ذراعه ودلف بها إلى الداخل وحجز غرفة لفردين ثم سألها:

- جعانة؟

فمالت على أذنه وهمست:

- لا.. مش ناقصني غيرك.

يرى ذلك في عينيها لكن كلمتها أثارته أكثر، جعلته يأخذ المفتاح من العامل ويصعد بها مباشرة إلى الغرفة فأغلق الباب خلفه ثم حملها بين ذراعيه ولثم شفتيها بقوة كأنه يأكلها، لفت ذراعيها حول عنقه وقبَّلته، رائحتها تفوح في المكان وتغزو قلبه بقوة، لم يفتح النور، كانت النافذة مفتوحة لتهوية المكان، القمر مطل على غرفتهما ويضيء ليلتهما وسريرهما.

كانت قمره الذي يضيء حياته فظل طيلة الليل يحتضنها وكأنها على موعد للسكن بداخل أحضان بعضهما بعد غياب طويل اشتعل الشوق بداخليهما، فهي لا تريد من الدنيا إلا هو ولا تريد من الحياة إلا قربه، تبادلا الحب مرارًا وكأنه لم يصب أيًّا منهما إرهاق السفر وكأن هذه الاستراحة لم تكن ليستريح جسداهما بل لتكون شاهدًا على حبهما ويخبر الجميع ذات يوم أنهما مرَّا من هنا.

وردة تغني في آذانهما وهما يستلقيان على سريرهما وهما ينظران

إلى القمر «في يوم وليلة.. في يوم وليلة.. دوقنا حلاوة الحب.. في يوم وليلة» لم تمر ثلاث ساعات إلا واستيقظا ورحلا عن الفندق متجهين إلى وجهتهما، بحر وجبال تحيطه من جميع الجهات وخيم أمام الشاطئ مباشرة، (الشاليه) الخاص بهما ينظر إلى البحر، تقف أمل ويضمها من الخلف وأمامهما البحر فهي تعشقه، تنظر حولها لا ترى أحدًا، كان الوقت قبل زحام الصيف بقليل لم يكن في المكان غيرهما، فارتدت ملابس البحر ونزع عبد الله عنه ملابسه وهرول كل منهما إلى المياه، قبَّلها كثيرًا في المياه وضمها إليه أكثر، يريد أن يشبع منها في كل ثانية تمر عليهما في هذا المكان الخلَّاب، ظلا في المياه حتى العاشرة صباحًا ثم شعرا بتعب اليوم بأكمله فحملها وعاد إلى (الشاليه) وراحا في نوم عميق لم يشعرا بنفسيهما إلا عند الخامسة مساءً، قبل غروب الشمس بساعة.

- جعانة؟

- آه.

اقترب منها ليقبلها فقالت ضاحكة:

- جعانة بجد إحنا بقالنا 12 ساعة مكلناش.

- طب البسي يلا هننزل البلد نجيب حاجة ناكلها.

تحرك بالسيارة وفي أقل من خمس عشرة دقيقة كانا في المدينة وصوت وردة في آذانهما فأحضر لها (البيتزا) وتحركا يأكلان في الطريق إلى الجسر الكبير الذي يقف عليه الجميع ويلتقطان الصور، جسر إلى داخل البحر لكنه فارغ، حمل الطعام والمياه الغازية وتحرك

إلى منتصف البحر وجلس أرضًا وهي جانبه وتأخذ من صدره مكانًا لرأسها وتتابع تناول طعامها ثم قالت:

- إحنا لازم نيجي هنا تاني في الصيف.. المكان ده بيبقى تحفة في الزحمة.

- أنا مبحبش الزحمة يا أمل.

قضمت قطعة من البيتزا وابتلعتها ثم قالت:

- أومال بتحب إيه يا عبد الله؟

تعلم ما سيقول لكنها كجميع النساء تريد لأذنيها أن ترق بكلماته، اقترب منها وقبلها طويلا ثم قال:

- بحبك يا أمل.

- بص أنا عارفة إني ممكن أبان أوفر دلوقتي لما أقول الكلام ده بس إنت عارفني يعني مبعرفش أخلي الكلام اللي عايزة أقوله جوايا أكتر من 3 ثواني.

ربَّع قدميه ونظر لها مبتسمًا.

- اتفضلي يا حبيبتي... نكدي علينا.

- أنا مش عايزة نبعد أبدًا مهما كان السبب ومش هقدر يا عبد الله.

- أنا عمري ما هسيبك يا أمل حتى لو حصل هفضل الطيف اللي بياخد باله منك في الدنيا دي من كل حاجة.

- عايزاك توعدني وعد.

هز رأسه لتتابع:

- حتى لو جيت أنا اقولك نسيب بعض إوعى توافق على الكلام ده.

مسح بيده على رأسه متنفسًا بعمق وارتشف قليلًا من قهوته وقال:

- عمري ما كنت هسيبك يا أمل.

قاطعته وهي تنظر إلى فنجان قهوتها الذي فرغ للمرة الثانية.

- أنا كنت وحشة أوي معاك فعلا يا عبد الله، أنا لو مكانك كنت كرهتني.

- سبتيني بطريقة وحشة أوي يا أمل.

قاومت دموعها أكثر وقالت:

- اطلبلي قهوة تاني.

أشار إلى النادل ليأتي بقهوة أخرى، لتتابع أمل ما حدث وتتذكر ما كان بينهما بقوة لا تعلم من أين أتت لها في هذا التوقيت! هل هذه القوة بداخلها أم وجوده ما يجعلها قوية، قالت وهي تعتذر بعينيها عما حدث:

- أنا لو مكنتش عملت كده يا عبد الله عمرك ما كنت هتوافق إننا نبعد.

- أنا مكنتش عايز أسيب إيدك أبدًا!

- كنت متخيلة إن ده الحل يا عبد الله بس كنت غبية.

ساد الصمت قليلًا ثم قال منفعلًا:

- بس مش بالطريقة دي يا أمل.

ولأول مرة هي من تضع يدها على يده وتربت عليها قليلًا لتعتذر له عما فعلت:

- أنا آسفة والله يا عبد الله.

لم يكن الاعتذار كافيًا، كان يريد أن تحتضنه، تضمه إلى قلبها ليعود كل شيء كما كان لكن عينيها فعلت ذلك، جاء النادل بالقهوة ووضعها أمامهما فارتشفت أمل قهوتها على مهل وتابعت لتحكي ما حدث لها، وهي لا تعلم أن ما تحكيه بمنزلة الملح الذي تلقيه على جراح عبد الله؛ لأنه لم يستطع أن يسمح لأي أحد بأن يدخل قلبه بعدها.

***

لم تكن هذه المرة الأولى التي تجمع بين طارق ونيروز بمفردهما، وصلا إلى الفندق ونزل كل منهما في غرفته، كان جميع الزملاء قد وصلوا إلى المكان وبدأ كل منهم يتحرك في ثنائيات أمام البحر أو في الكافيهات، اصطحب طارق نيروز إلى الشاطئ وتحرك معها بعيدًا عن الأنظار وفي مكان مظلم عند صخرة كبيرة دارتهما عن الأنظار ضمها إلى صدره وقبَّلها، ضمها بين ذراعيه ليختلي بها في هذا الهواء الصافي والبحر الشاهد على خيانتهما، تبادلا القبلات والأحضان ولكن لم يستطع أي منهما أن يأخذ راحته في هذا المكان.

عادا سريعًا إلى الأنظار بعد أن اتفقا أن يذهب طارق إلى غرفة

نيروز بعد خلود الجميع إلى النوم، مرَّ الليل بعد أن طارحها الغرام وكانت تلك هي المرة الأولى بينهما، لم تستطع أن تقاومه وهو يعلم ذلك وهي تعي جيدًا أن ما يحدث خيانة لصديقتها لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها عنه وهذا ما يريده طارق، جاء اليوم التالي وركبت أمل الحافلة إلى الجونة بعد أن أقنعت طارق ألا يأتي ليأخذها من القاهرة.

- أنا خلاص اتحركت أهو من القاهرة، ارتاح إنت عشان هتسوق بالليل.

استعد الجميع لالتقاط الصور مع العروسين وكانت أمل على وصول فدلفت إلى الفندق وارتدت ملابسها التي ستحضر بها الفرح وأخذت نيروز خطوة للوراء ليتقدم طارق إلى أمل بحركة سينمائية ويمسك يدها ويقبلها قائلًا:

- إيه القمر اللي نوَّر سمايا ده!

كان هناك شيء غريب لكنها لم تستطع كشفه، لم تكن تلك طبيعته وكأنه يداري شيئا عنها فيحاول جاهدًا أن يداري خيانته لها واستطاعت نيروز أن تفعل ذلك بحرفية شديدة، بدأ الفرح وجلس الثلاثة على طاولة واحدة ينظرون إلى العروس التي كانت في أبهى صورها، تحدث طارق:

- والله خسارة فيه البنت زي القمر.

ضحكت أمل قائلة:

- يابني سيب الكلام ده لينا إحنا ده كلام ستات.

كانت نيروز تسترق النظر إلى طارق بينما أمل تتابع العروس، قام طارق وأمل ليرقصا على أنغام الموسيقي بجانب زملائهم برفقة العروسين ويحاول طارق الهروب من نظرات نيروز التي تخترقه هو وأمل وهما يرقصان فمال برأسه على أمل وبدأ يهرب إليها من كل شيء، بداخله خسة لا تُغتفر لكنه يشعر أنه يُحبها، لا يعلم لماذا يفعل معها كل هذا ولكنه لم يستطع أن يصل معها إلى ذلك ففعله مع صديقتها، ولكنها أمل بذكائها لمحت في عين نيروز شيئًا لا يمكن أن تُخطئه، همس في أذنها:

- وحشتيني.

لم ترد لأنها لم تشعر بصدق مشاعره في هذه الكلمة فتابع:

- أنا عارف إنك زعلانة إني مستنتش أسافر معاكي.

لم تعلق وتابعت الرقص معه حتى أن انتهت الرقصة، أخذها من يدها وخرج بعيدًا عن القاعة ليتكلم معها فكانت ملامحها شاردة ولا يدري لمَ كل هذا الشرود.

- مالك يا أمل فيه إيه؟

- مفيش يا طارق أنا كويسة أهو.

هز رأسه بالنفي ثم قال وهو يقترب منها:

- لا مش كويسة.. أنا مش لسه عارفك امبارح.

كان مع الوقت يحاول إبهارها لكنها أدركت أنه لم يعرفها من الأساس فحاول الاقتراب منها أكثر فصدَّته بيدها وقالت:

- طارق أنا مبحبش كده.

ابتسم ابتسامة تعرفها جيدًا وقال:

- بس أنا بحب.

- يلا ندخل.

ضحك على كلمتها ورد:

- ياريت.

نظرت له نظرة حادة:

- يلا ندخل لنيروز عشان منتأخرش عليها.

أمسكها من يدها وقال:

- بس أنا عايزك يا أمل.

كان قد وصل به الشوق مداه، اقترابه من نيروز لهذه الدرجة جعله يشعر بأنه يستطيع أن يقترب من أمل بنفس الطريقة، يحاول من اليوم الأول أن يجذبها إليه، تتعلق به لكنها لا تنصت إلى ما يريد فقالت:

- لو استمريت في الطريقة دي كتير أنا همشي.

ظهرت نيروز من العدم فكانت تراقبهما لكن لم يرَها أيٌّ منهما،

اقتربت من أمل وقاطعتهما:

- اتأخرتوا كده ليه أنا قلقت عليكم.

دخل الثلاثة مرة أخرى إلى القاعة وانتهى الفرح وشيء بداخل أمل بدأ ولم ينتهِ.

أحضر كل منهم ملابسه من الغرفة وركبوا السيارة وعادوا إلى القاهرة بعد انتهاء كل شيء، كانت تشعر بشيء مريب وبدأت المحاولة من التأكد من هذا الشعور.

***

خرج عبد الله عن صمته بعد أن سمع منها هذه الجزئية قائلًا:

- يا ولاد الكلب.

كانت أقوى من كل شيء، ترتشف قهوتها بكبرياء وقوة وتحبس دموعها رغم أنها تكويها ووضعت القهوة مكانها ثم قالت:

- مكنتش متخيلة يا عبد الله إني أكون مخدوعة في نيروز وكل ده أنا مكنتش أعرفه بس كان في إحساس جوايا كنت ديمًا بكدبه وأقول مش معقول.

تنفست بعمق وتابعت:

- عارف.. أنا مهمنيش اللي عمله طارق، أنا اللي كسرني إني عرفت إنه عمله مع صاحبة عمري.. إنت متعرفش أنا عملت إيه لنيروز في علاقتنا سوا.

كانت أمل الصديقة الوفية المثالية التي نسمع عنها دائمًا في الحكايات التي تضحي بكل شيء من أجل أصدقائها.

ربت عبد الله على يدها فكان وجوده في هذه اللحظة يهوِّن عليها كثيرًا كأن الله أرسله خصيصًا لهذا المكان لتراه لتعود بالزمن للخلف حتى تستمد منه القوة التي ستجعلها تستمر في الحياة ليس من أجلها ولا من أجل والديها إنما من أجله هو، تلك الحقيقة الوحيدة التي عاشتها أمل تستطيع تعويضها حتى الآن فقال:

- إنتي عرفتي التفاصيل دي كلها منين؟

ضحكت ضحكة مكتومة، ضحكة يملؤها الوجع والأنين:

- هي اللي حكتلي.. مقدرتش تستحمل وساختها بعد ما مالقيتش غيري جنبها.

7

تموت القطط من أجل صغارها خوفًا عليهم ومن أجل حمايتهم، يقتل الحب المحبين خوفًا عليهم مما هو قادم، فالزمن يستطيع أن يأخذ جولييت من قصتها إلى أبعد مما تتخيل.

أمل بعد كل هذا الوقت تجلس في غرفتها تتذكر كل ما مرَّ عليها ولا تستطيع أن تفعل أي شيء تواجه صدمتها وإنكارها لما حدث من بدايته إلى هذا اليوم، ولكن دون جدوى فلم يستطع أي شيء أن يُخرجها مما هي فيه، حاول والداها بكل طاقتهما ليساعداها وصديقتها بكل ما أوتيت من قوة، ونفسها تلك التي راودتها كثيرًا في الأيام الماضية أن تنهي تلك المعاناة بالرحيل ولكنها لم تكن بالقوة الكافية لفعل ذلك، تذكرت أنها لم تكن بالقوة الكافية لتتمسك بعبد الله وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي يضيء عقلها باسمه بعد كل تلك السنين، لم تكن بالقوة الكافية للمواجهة رغم قوتها بالتمسك بكل شيء، رضى والدها أهم ما في الدنيا فداست على قلبها لترضي والدها، تتقلَّب في سريرها ولا تفعل أيَّ شيء، فقط بين الهاتف، المزيكا والقهوة، زادت الهالات السوداء أسفل عينيها وشحب لونها وملامحها، كانت تكبر في السن أعوامًا في تلك الأيام القليلة وكأنها جمعت كل الحزن الذي فوتته في عمرها وقررت أن تحزنه دُفعَةً واحدةً، لا تحزن على طارق وطريقة هجرانه لها لكنها تحزن على نفسها؛ لأنها كانت تعلم أن هذه هي النهاية وصمَّمت أن تتابع.

لم يمر وقت طويل على وجودها في الشركة وعلاقتها بطارق،

كانت القصة بأكملها لم تستغرق وقتًا طويلًا لكنها قضت على ما تبقى منها، كانت تجلس في مكتبها وتنتبه لما تفعل بتركيز شديد وفي أذنيها سماعة تستمع إلى الموسيقى المفضلة إليها، فدخلت عليها نيروز وخلعت عنها سماعتها ثم قالت وهي تشير بعينيها إلى طارق في مكتبه الزجاجي.

- بصي.

التفتت أمل بنظرها إلى مكتبه وهو يقف مع إحدى الموظفات الجدد، يضحك معها ويضع يده على كتفها بطريقة لافتة، لكن لم يكن أي من الموجودين يلاحظ ذلك، تعلم طبيعة طارق وأن هذه الطريقة هي التي يحاول بها أن يذيب المسافات بينه وبين أي شخص يتعامل معه، ماذا يريد منها وماذا تفعل في حياته وإن كانت بهذا الشكل المستمر وعلى عكس عادتها لم تأخذ أي رد فعل فقررت الصمت فقط، خرجت نيروز من المكتب وتابعت أمل عملها، تتعمد أمل في هذه الأوقات أن تخرج من الشركة قبل ميعادها لتتجنب أن تركب معه سيارته إلى منزلها وكانت لا ترد على رسائله أو اتصالاته، تجاهلته تمامًا حتى يعلم ماذا فعل، ترد عليه في الشركة بطريقة رسمية وإن حاول أن يتحدث معها في أي شيء خاص ذكَّرته بكلامه:

- وقت الشركة للشركة يا طارق ولا إيه!

ولم تعطِ أي فرصة ليفهم ماذا حدث ولم يجد أمامه غير نيروز، طلب منها في الشركة أن يجلسا سويًا بعد العمل ليعرف ماذا حدث، انتهى وقت العمل وغادرت أمل كما تفعل وانتظر طارق نيروز خارج

الشركة ثم أخذها في سيارته إلى أقرب مكان ليتبادلا الحديث عن أمل وما حلَّ بها وتبدل حالها من حال لآخر في أقل من لحظة، دخلا سويًا إلى المطعم فساعدها طارق على الجلوس وجلس أمامها بينما كانت تنظر له بإعجاب شديد، فكان وسيمًا أنيقا كعادته.

- مالها أمل بقى؟

أخفت ضيقها من الكلام المباشر عن أمل فقالت بابتسامه صفراء:

- طب مش هنطلب حاجة ناكلها الأول؟

اعتذر طارق عن طريقته وتغافله عن ذلك قائلًا:

- معلش يا نيروز أصل سكوت أمل مخليني متلخبط بس.

- هي علطول كده.

كانت عيناه تسألانها لتتابع:

- يعني على طول تحب تسيب اللي قدامها حيران من غير ما تواجهه باللي عمله.

- وأنا عملت إيه بقى؟

كانت تنظر نيروز في قائمة الطعام لتختار منها.

- أنا هاكل نجرسكو وإنت؟

أشار طارق إلى النادل وطلب الطعام وأخذ مثلها، كرر سؤاله فقالت:

- كنت واقف تهزر وتضحك من يومين مع سلوى في المكتب عندك وهي شافتك وإنت حاطط إيدك على كتفها ومعرفش إيه اللي يضايق يعني في كده.

استغرب طارق من كلامها وهو لم يتذكر ما حدث؛ لأنه يفعله دومًا أو لأنه تخيَّل أنه لن يكون هناك من يركز معه في تصرفاته، لكنه استغرب كلام نيروز كيف لها أن تعتبر هذا التصرف طبيعيًا وتلوم أمل أنها منزعجة منه، لم يفهم ما وراء كلامها فتجاهله، ثم قال:

- طب مجتش سألتني ليه طيب أو متكلمتش ليه، وليه مردتش عليا؟

- هي كده دايما يا طارق تحب تكون محور اهتمام الكل ولو الدنيا هادية تحب تعمل حاجة تخليها مجال حديث كل اللي حواليها.

اندهش طارق أكثر من كلام نيروز عن أمل لأنه لا يرى هذا في أمل ولا يرى هذا في طبيعة العلاقة بين أمل ونيروز، فقالت الأخيرة:

- وبعدين يعني واحد زيك وفي مكانتك في الشركة لازم البنت اللي مرتبطة بيك تحافظ عليه أكتر من كده وتكون متفتحة أكتر من كده، أنا لو مكانها....

لم تكمل كلامها، فعلتها متعمدة لتخبره بأنها تريد أن تكون مكانها فقال:

- وإنتي عايزة تكوني مكانها يا نيروز؟

كان يسأل من باب الفضول لكنه وجد في عينيها إجابة واضحة

وصريحة، هي تريده وكل ما يمنعها عنه هو وجود أمل في حياته، لم تجب على سؤاله متعمدة أن تدب الحيرة في قلبه ويتساءل عما تريد منه، وضع النادل الطعام أمامهما وبدأت في تناول طعامها دون أن تنظر إليه وهو يتابعها ويريد أن يعرف ماذا تريد.

- على فكرة إحنا ممكن نبقى أصحاب مقربين لو حابة بس أظن أمل مش هتحب ده.

تيقنت أنه وقع في شباكها ويريد أن يتقرب منها ليعرف ماذا تريد، فقالت:

- ممكن هي متعرفش عادي مش لازم كل حاجة تروح تحكيهالها وبرضة إنت مش كل حاجة بتحكيها ولا إيه!

ابتسم لأنه على أعتاب رحله جديدة مع فتاة أخرى بنكهة جديدة، بدأ يتناول طعامه بابتسامة واسعة وهو ينظر إليها.

- اتفقنا... بس أنا عايز أصالحها أعمل إيه؟

- لازم؟

ضحك طارق فقالت نيروز:

- خلاص ياعم سيب الموضوع ده عليا أنا هصالحكم على بعض بس كده ليا عندك واحدة.. خليك فاكر ماشي؟

ضحك طارق على تعقيبها وقال بعد انتهائهما من الطعام:

- ماشي يا ستي.

- هخلصلك الحوار ده النها ردة بس يلا وصلني لبيت أمل.

- من أولها طلبات كده؟

ضحكت وهي تقوم من مكانها قائلة:

- لا اجمد بقى مش عايزاك تفرهد مني.

ضحك هو على كلامها قائلًا في نفسه أنها ستكون رحلة ممتعة، ركبا السيارة سويًا وقام بتوصيلها إلى بيت أمل وصعدت السلالم دون أن تخبرها، دلفت إلى المنزل كواحدة من العائلة يعاملها الجميع بهذا المبدأ، إلى غرفة أمل استقرت على سريرها بجانب صديقتها.

- مش ناوية تردي على طارق بقى؟

اعتدلت أمل في جلستها وردت عليها:

- وإنتي عرفتي منين إني مبردش عليه أنا مقولتلكيش

ابتسمت نيروز بحب وقالت:

- أنا مش هحاسبك على إنك مقولتليش دلوقتي... بعدين بعدين المهم تردي على طارق لإنه حكالي الموقف وهو اعترف بغلطه ومكانش يعرف إنك شوفتيه وهتزعلي.

نظرت لها بصمت بعدما أشاحت عنها وجهها وتركتها ولم تجب، لاحقتها وقالت لها:

- مالك!!

نظرت لها من جديد قائلة:

- يعني كان عادي لو مكنتش شوفته يعني!

وكأن كلماتها دقت على ناقوس الوفاء بداخل نيروز فقالت لها:

- مش كده بس...

-مفيش بس، في إن اللي عاوز حاجة بيعملها سواء من قدامي أو من ورايا.

مرة أخرى شعرت نيروز وكأنها تعنيها بكلماتها فقالت:

- في إيه مالك ما هو جاي وعاوز يعتذر عاوزة إيه تاني هو إنتي كنتي شوفتيهم فين!

نظرت أمل لنيروز بتعجب قائلة:

- وهو مش إنتي اللي جيتي ولفتي نظري أصلا وأنا مكنتش واخده بالي... جايه دلوقتي تعملي حمامة سلام ليه!

انتبهت نيروز إلى ما فعلت بقصد عندما لفتت نظرها إلى ما يضايقها بالفعل من طارق.

- وعدته إني هصلح الدنيا بينكم فخلاص بقى محصلش حاجة.

صمتت أمل ولم ترد عليها ورغمًا عن ذلك قالت لها من جديد:

- أديله فرصه كمان.

***

خرج عبد الله عن صمته قائلًا وهو يضع كوب القهوة في مكانه:

- هو أنا ممكن أقول كلام قبيح؟

ضحكت أمل على تعقيبه، يعود عبد الله رويدًا رويدًا إلى الشخص الذي عاشت معه أيامًا بلياليها وتفتقده كثيرًا، نظرت له بعين يعرفها جيدًا ثم قالت:

- مكنتش عارفة إنها كانت بتخطط لكل ده.. مكنتش عارفة إنه هيستجيب ليها، مكنتش عارفة يا عبد الله إنها بتغيير مني بالشكل ده.

انسلت يده ليمسك بيدها التي كانت تعبث بأطراف أصابعها على فنجان القهوة المتروك أمامها.. شد على يدها وربت عليها ربتات حانية فالتقت أعينهما سويًا.. واستكملت ما كانت تحكي وهي تشعر بأمان لمسته ليدها وهي تسترجع بداخلها ذكرياتها معه وكأن لمسته كانت إشارة لبدء كل شيء لهما معًا حتى وان كان لحظة وداع.

***

مرت من أمامه فتاة رقيقة ترتدي فستانًا أسود وشعرها على كتفها، ضفيرة كبيرة في نهايتها فراشة صغيرة سوداء لا تراها إلا عن قرب، كانت تتابع السير إلا أنه أمسك يدها واقترب منها ووقف أمامها، كانت تلك الفتاة الرائعة هي أمل، قال:

- رايحة فين يا أمل؟

انتبهت من شرودها، كانت قدماها تأخذانها بعيدًا لا تدري إلى أين تذهب! كان الهم يكسو ملامحها على غير عادتها، لم تجب فوقف

أمامها ليعترض طريقها ويشير إلى السيارة لتدخلها ليتحدثا، دخلت السيارة وجلست بجانبه دون أن تتكلم، لم تنظر إلى عينيه وكأنها خائفة من شيء ما لا تريد أن يعرفه.

- مالك يا أمل؟

تنفست ببطء حيث رتبت أفكارها والثوران الذي بداخلها يهدأ ثم قالت:

- إحنا لازم نسيب بعض يا عبد الله.

لم يرد عليها، ضغط على البنزين للتحرك إلى مكانهما المفضل. أخذها وصعد بها إلى سطح المنزل وأخبر صديقه بألا يزعجهما، أجلسها وجلس أمامها سألها مرة أخرى:

- مالك يا أمل؟

كررت جملتها أنهما لابد أن يفترقا، فقال وهو يمسك يديها:

- مش إحنا اتفقنا منضعفش يا أمل واتفقنا إننا نقاوم ونفضل في ضهر بعض مهما حصل.. مش اتفقنا إننا هنصبر لغاية ما نقنعهم.

نظرت في عينيه والدموع ترتعش بداخل عينيها وتأبى الفرار منهما لكنها هي تلك الفتاة التي لا تبكي أبدًا مهما حدث وكأن دموعها محرمة.

- يا عبد الله الموضوع أكبر من إقناع أهلي.. إنت مش فاهم حاجة.

سكت قليلًا وهو ينظر في عينيها محاولًا فهم ما يجري، لم يرد ولا

يدري ماذا يحدث.. هل حاولت معهم مرة أخرى وباءت بالفشل أم ماذا حدث، سألها لم ترد، فكرر سؤاله عليها بصوت حاد فردت:

- أنا مش عايزة أكمل يا عبد الله.. الموضوع مالوش علاقة بأهلي خالص دلوقتي.

لم يصدقها، اقترب منها ليضمها فابتعدت عنه قليلًا وقالت:

- لو سمحت يا عبد الله إحنا لازم ننهي الحوار ده النها ردة.

كان يجاهد أعصابه ألا تثور فلن يقابل ما يجري بعصبية فهي حبيبته وزوجته وكل ما لديه في الدنيا، تلك الفتاة الذي نفضت عنه الألم الذي عانى منه كثيرًا ووضعت في قلبه الأمل، لم يقترب منها مراعاة لرغبتها فرد:

- فاكرة لما كنا قدام البحر وقولتيلي «لو حتى جيت قولتلك نسيب بعض متسمعش كلامي» فاكرة اليوم ده!!

أغمضت عينيها وتذكرت ما حدث وتعلم ما سيحدث، لن تستطيع أن تمنع نفسها من فعل هذا الأمر أكثر من ذلك، لم تستطع أن تجبر والدها على شيء لا يقبله ولن تستطيع أن ترى عبد الله يتألم من الرفض الذي يلقاه أمام والدها أكثر من مرة، كان الفراق هو الحل الوحيد لكنه لن يترك يديها، كانت تريد أن تقتل الأمل الذي بداخله وتقتله بداخلها ليرحل عنها في سلام، ولكن منذ متى وفراق الأحبة يمر في سلام، قالت وهي تحاول الهروب منه بعينيها:

- أنا اللي مبقتش عايزاك يا عبد الله.. أنا اللي مبقتش قادرة

أستحمل الوضع ده أكتر من كده ومش موضوع رفض أهلي.. الموضوع إني مش حاسة بالأمان معاك بسبب إنك مش قادر تعمل لي أي حاجة.. حاسة إن بابا عنده حق.

كان ينظر إليها كأنه يرى شخصًا آخر غير الفتاة التي كانت تنفي كل هذا الكلام مرارًا وتكرارًا، أغمض عينيه وفتحهما ليتأكد من وجودها أمامه، سأل قلبه عنها «هل هذه هي أمل التي كانت تمده بالطاقة دومًا!! هل هي التي تقف أمامه الآن تشهر أسلحتها ضده وهي التي كانت تمده بأعظم سلاح - حبها - الذي كان يحتاج إليه ليستمر في حربه التي يخوضها» سألها إن كانت تتكلم بجدية فقالت بصوت مرتفع:

- هي الحاجات دي فيها هزار يا عبد الله!

كان من الممكن أن يسامحها في أي شيء، يبتعد عنها، لكنه سيظل على أمل أن يجمعهما الله في يوم من الأيام لكنها كانت تعلم ذلك أيضًا، تريد أن تقضي على ما بداخله لها فقالت:

- أنا بضيع على نفسي فرص كتير يا عبد الله جمبك وإنت مش قادر تتحرك.

لم يدافع عن نفسه ولم يخبرها بما كانت تقول دائمًا، قال جملة واحدة لينهي بها هذه المحادثة وتلك المهزلة التي لم يكن يتوقعها حدوثها، كان الموت في مخيلته أقرب لأي منهما مما يحدث الآن، سرح بتفكيره ولم يكن يتخيل أن يسمع منها هذا الكلام، لم يكن والدها بهذه القسوة في كلامه معه فكيف لها أن تقسمه نصفين

بكلامها، ولأنها تعرف حبه لها وتعرف أنه يريد أن يرحل ويظل حبها بقلبه فألقت بآخر بطاقة معها وهي تُخرِج هاتفها وتعطيه له قائلة:

- ممكن تقرا الشات ده؟

لم يمد يده ليأخذ الهاتف منها لكنها قالت تترجاه:

- لو سمحت.

أخذ الهاتف وبدأ يقرا المحادثة التي أمامه، كانت بينها وبين شخص يعرفه جيدًا، كان زميلًا لها في العمل، يشعر بحبه لها لكنه فاز بقلبها، بدأ يقرأ ليرى أن بداية الكلام منذ فترة، بدأ الكلام عاديًا ثم بدأ يأخذ مسارًا آخر، ضحك، إعجاب، ثم اعتراف بالمشاعر وتبادلها بينهما، ألقى الهاتف بعيدًا ثم قال:

- امشي يا أمل.

رحلت وهي تعلم أنها نجحت فيما تريد، قتلت الأمل بداخله وأخذت الحب الذي كان يسكنه ورحلت بعيدًا، تركته وحيدًا بلا قلب، بلا روح وبلا أمل، غادرت المكان وهي تاركة رسالة لصديقه على الهاتف حتى يصعد لعبد الله مسرعًا لمنعه من أي فعل متهور قد يخطر في باله.

نزلت بينما صعد صالح إلى عبد الله وظل بجانبه.. لم يتكلم عبد الله ولم يخرج من قلبه أي شيء أمام أحد، كانت الوحيدة التي تستطيع أن تسحب منه الكلمات، الوحيدة التي لها خاطر عنده أكثر من أي شخص في الدنيا، حاول صديقه أن يُهوِّن عليه لكنه تركه

ورحل، رحل بعيدًا عن كل شيء ولا يعلم إلى أين يذهب، كان كل شيء يفعله له سبب والآن ما السبب في الحياة نفسها.

تذكر والدته تحرك إلى المنزل وبين ذراعيها جلس يبكي وهي لا تعرف ما السبب، فضمت ولدها إلى قلبها وبدأت تقرأ له القرآن حتى يهدأ.

***

عادت من ذكرياتها فهمست بخفوت:

- أنا آسفة يا عبد الله.

قالتها أمل مرة أخرى وأصبحت لا تعلم على ماذا تعتذر، كانت تعتقد أنها أخذت حبها من قلبه معها لكنها لم ترَ في عينيه ذلك، كانت هذه المرة الأولى التي تراه بعد هذا اليوم وترى في عينيه نفس اللمعة، انتهى كل شيء بينهما دون أن يلتقيا ولم يستطع أن يراها بعد ما رأى، لن يستطيع أن يرى تلك الفتاة التي لا يعرفها.

- متتأسفيش يا أمل.. أنا سامحتك من يومها بس أنا لسه تعبان برضو من يومها.

كانت الكلمات غير كافية لأن تعتذر له عما سببته، لا يعلم حتى الآن أنها لم تخُنْه وأن كل هذا لتبتعد عنه ويبدأ حياته، لكنها لم تكن تعلم حتى الآن أنه لم يتحرك خطوة واحدة منذ أن تركته، كما هو بحبه لها وبتعلقه بها، رفض كل المحاولات من كل المحيطين أن يزوجوه، لم يجد لأيٍّ منهم مكانًا في قلبه فهي أمل واحدة مهما فعلت لن تتكرر،

رأت أن من حقه بعد كل هذه السنين أن تُصارحه بالحقيقة التي لم يعرفها من يومها.

- كل الكلام اللي قولتهولك يومها كان كدب، والله كنت بكدب.. أنا عملت كل ده وقُلت اللي قُلته عشان كان صعبان عليا تفضل مكمل معايا كده وحاسس بالعجز بسبب بابا واللي بيقوله.

- تقومي تكسريني يا أمل.

ربتت على يده وقالت:

- ما عاش ولا كان اللي يكسرك.

نظر إليها نظرة تعرفها جيدًا، ضحك بصوت عالٍ ثم قال:

- ما هي عايشة قدامي أهي وخانتني عادي وكملت حياتها عادي وأنا واقف عندها من يومها.. واقف عند أمل اللي أعرفها وبتعالج من يومها ومش عارف أخف.

اعتدلت في جلستها وقالت بعصبية:

- ثواني هما العيال محدش فيهم قالك الحقيقة طول السنين دي كلها؟

قال لفظًا خارجًا وهو يسألها عن أي حقيقة، فقالت:

- الشات ده كله متفبرك عشان تصدق إني خونتك وتمشي وطلبت من العيال يعرفوك بعد الطلاق عشان تهدى من الناحية دي.

تنفس الاثنان بهدوء وهما يتوقعان ما حدث، لم يخبره أحد

بالحقيقة؛ لأنه لم يكن سيغادر وكان سيظل معها إلى الابد، لم يكن يعرف أي منهم أنه سيظل مهما كان الوضع، لكن الوضع استمر وابتعد الجميع عنه أو بالأحرى أبعدهم عنه وبقي وحده يتجرَّع مرارة الألم والخيانة التي ظنَّ أنها حدثت ولم يتحرك من مكانه بعدما تركته وحده.

***

- آنسة أمل.

قطع تركيزها في الحاسوب الذي أمامها صوته وهو يناديها، نظرت له دون أن ترد فتابع دون أن يتحرك من مكانه:

- محتاجك معايا هنروح نبص بصة على فرع التجمع.

- بس ده مش اختصاصي يا أستاذ طارق.

كان الكلام رسميًا لا يليق عليهما أو على العلاقة التي بينهما، لكنه استمر في كلامه بهذه الطريقة لتقوم من مكانها معه قائلا:

- بس ده تكليف من رئيسك المباشر يا فندم.

لم تبتسم وقامت من مكانها وتناولت هاتفها وحقيبتها وتحركت أمامه إلى خارج الشركة، لم تتحدث معه كلمة واحدة في الطريق إلى الأسانسير أو في طريق خروجهما إلى السيارة.

كانت تنوي أن تقبل اعتذاره ولكن ليس بتلك السهولة التي يتخيلها، فتح لها الباب وركب بجانبها ثم تحرك في طريق تعرفه جيدًا، هو المكان الذي أخبرته بأنها تريد أن تتناول فيه العشاء قبل

ذلك لكنه كان مشغولًا فتناست الأمر، كانت تنظر إلى الطريق وتنتظر أن يتكلم حتى وصلا إلى المكان المنشود، أرض واسعة خضراء وهواء بارد يضرب وجهيهما وطاولات متباعدة للخصوصية ومنظر أكثر من رائع، قالت قبل أن تقدم قدمًا أخرى:

- إيه ده؟

- ندخل طيب ونتكلم جوه!

تنازلت عن عنادها ثم دلفت إلى الداخل، سحب لها كرسيًا لتجلس ثم جلس أمامها ونظر في عينيها، فهو يحبها ويعلم ذلك، فمن ذا الذي لا يحب أمل بكل ما تملكه من روعة وكمال، أنثى كاملة لا ينقصها شيء ولا يوجد بها خطأ واحد.

- إحنا بنعمل إيه هنا؟

- بصالحك.. أينعم أنا مش عارف أنا غلطت في إيه بس بصالحك.

تناولت هاتفها وحقيبتها مرة أخرى وهي تقول بطريقة حادة:

- لو مش معترف بالغلط اللي حصل يبقى يلا نمشي مالهاش لازمة القعدة دي.

ضحك بصوت هادئ وأمسكها من يدها لتجلس مكانها مرة أخرى ثم قال:

- خلاص خلاص.. معترف بس اهدي.

تركت ما في يدها مرة أخرى واعتدلت في جلستها ليتابع:

- أنا مكانش قصدي والله.. البنت جديدة ودمها خفيف مش أكتر.

نظرت في عينيه مباشرة؛ لأنها في الفترة القليلة التي بينهما أصبحت تعرفه وتعرف ما يريده من كل فتاة تمر من أمامه، طارق لا يترك أنثى إلا بعد أن يختبرها ويفحصها من كل الجهات، الجميع أخبرها بذلك وهي ترى ذلك في كل تصرفاته ولا تعلم لمَ تصبر عليه كل هذا الوقت لكنها تحاول أن تفعل كل ما عليها تجاهه حتى وإن تركته لا تلوم نفسها أبدًا على هذا القرار.

- طارق عشان خاطري أنا مش عايزة أقول ألفاظ خارجة فبطل استعباط.

كان المكان هادئًا والشمس تذهب إلى الغرب بهدوء، وضوء بسيط برتقالي يزين ملامح أمل فيمسك طارق يدها فتسحبها ليقول بنبرة حانية:

- أنا آسف مش هعمل كده تاني.. أنا عارف إني مش مثالي بس والله بتغير من ساعة ما بقينا سوا.

زفرت بضيق:

- ده اللي مصبرني عليك.. عارف لو عرفت ولو حتى بالصدفة إنك رجعت للعك اللي كان في حياتك ده والله ما هرحمك وهمشي يا طارق صدقني هعملها إنت متعرفنيش لغاية دلوقتي مهما كنت متخيل إنك تعرفني.

شعر بالخوف من كلامها، كان تهديدًا صريحًا ولا يعلم إن كان لن

يستطيع أن يحيا بدونها أم لا، لكن بالتأكيد يريدها في حياته، إن كان يفعل الكثير دون أن تعلم إلا أن وجودها فرق كثيرًا في حياته، اعتذر لها كثيرًا عن كل شيء وتقبلت اعتذاره ثم قال:

- تحبي ناكل إيه بقى؟

صمتت قليلًا تفكر في شيء ما، يتخيل أنها تفكر فيما ستطلبه من طعام كرر سؤاله، فقالت وهي تقرر أن تحكي له شيئًا لم يعرفه:

- اطلبلي على ذوقك.

أشار للنادل وطلب الطعام والشراب الذي يفضلانه دومًا، قالت بعد أن رحل الأخير:

- إحنا نعرف بعض بقالنا قد إيه يا طارق؟

كان سؤالًا غريبًا؛ لأنها دومها تخبره بأن الوقت بقيمته وليس بعدد الأيام والشهر، نظر إليها متسائلًا عن سبب السؤال فكررت سؤالها، فقال:

- سنتين وشوية أو 3 سنين.. بس مع بعض من سنة.

- فيه حاجة إنت متعرفهاش عني وغالبًا لو هنكمل مع بعض يبقى لازم تكون عارفها لأن ممكن بسببها متكملش وتمشي.

قبل أن تكمل كلامها قاطعها وقال:

- أنا مفيش أي سبب في الدنيا يخليني أمشي وأسيبك يا أمل.

ابتسمت ابتسامة لا معنى لها؛ لأنها تعلم أن هذا مجرد كلام وأن

الدنيا أقسى من كل هذه المشاعر وكل هذه الاحتياجات فقالت:

- استنى تعرف بس إيه هي الحاجة وبعدين قرر.

أمسك يديها وضمها بكلتا يديه ورد:

- والله ما عايز أعرف أي حاجة غير إني معاكي وإني بحبك.

سحبت يديها من قلب يديه وقالت:

- حتى لو قولتلك إني كنت متجوزة قبل كده ومحدش يعرف الموضوع ده خالص؟

ضربته الكلمة كصاعقة من السماء، حاول التحكم في ملامحه لكنه فشل، كان الاندهاش واضحًا جليًا على ملامحه، تنفست الصعداء وانتظرته ليجيب فقال:

- إنتي أكيد بتهزري صح وبتحاولي تشوفي رد فعلي يعني وكده!!

عقدت حاجبيها بضيق، ثم قالت:

- هو موضوع زي ده ينفع فيه هزار؟

- إزاي يعني فهميني؟

بدأت أمل تحكي له عن عبد الله وعن قصتها معه حتى نهايتها، كان يسمعها والطعام أمامه ولم يقترب منه، سمع كل شيء منها ولم يستطع أن يرد، لا يعلم ماذا يفعل ولا يدري ما يدور بداخله، كيف سيتعامل معها وهي تستطيع أن تداري كل هذا وتعالجه دون أن يعلم، كانت تستطيع كتمان كل هذا ولا تخبر به أحدًا لكنها قررت أن

تبوح بكل شيء؛ لأنها أقوى من هذا كله، لم تفعل شيئًا خاطئًا لتخفيه ولم ترتكب جرمًا لتطلب المغفرة، هي فقط شعرت أن واجبها تجاهه أن يعرف لتكون أمينة معه في الحياة التي تخطط لها معه، حكت ولم تنتظر أي رد منه.

***

- أنا عايز أشوفك دلوقتي.

حاولت أن تفهم ما به في الهاتف لكنها فشلت، طلب منها الحضور إلى منزله فلم تعترض، تيقنت أن هذا هو الوقت المناسب أن تحصل عليه كما تريد أو كما تتخيل أنها فقط التي تريد، انتظرها في المنزل فحضرت في وقت قياسي، ففتح لها الباب وسمح لها بالدخول فسألها:

- إنتي كنتي تعرفي إن أمل متجوزة قبل كده؟

تفاجأت من السؤال، لم تكن تعرف أي شيء عن هذا فأمسكت هاتفها لتتصل بها لكنه أخذ الهاتف منها ووضعه جانبًا قائلا بعصبية:

- بتعملي إيه؟

- هتصل بيها أفهم فيه إيه.

يتحرك ذهابًا وإيابًا أمامها بعصبية واضحة وأنفاس متلاحقة، وقف أمامها مباشرة ثم قال وهو لا يرى أمامه إلا أمل التي خدعته كل هذا الوقت، لم يكن يعرف أن بداخل نيروز غضبًا أكبر، كيف استطاعت أمل أن تداري شيئًا كهذا عنها!

- تفهمي إيه بقولك أمل كانت متجوزة قبل كده إزاي متعرفيش!

اقتربت منه وأمسكت ذراعيه بكلتا يديها وقالت وهي تحاول أن تهدئ من أعصابه المشدودة ونبرته الحادة:

- والله ما أعرف حاجة عن الموضوع ده.

جلس طارق على الأريكة القريبة منه وبدأ يحكي لها ما قصته عليه أمل، اقتربت منه واحتضنت رأسه بين ذراعيها وهي تشعر بألمه فأقرب شخص لها في دنيتها استطاع أن يداري عنها ذلك لسنوات طويلة، كانا أقرب ما يكون لبعضهما البعض، القرب الذي تمناه طارق منذ أن رأى في عينيها الرغبة التي يفهمها جيدًا.

ألقى كل ما حدث خلف ظهره وبدأ يشعر بأنفاس نيروز المتلاحقة التي لا تقل أنوثة وروعة عن صديقتها وإن لم يستطع أن يحظى بأمل حتى الآن فالطريق أمامه للنيل منهما واحدة تلو الأخرى، الآن نيروز بين يديه سهلة المنال، وأمل بعد اعترافها له بأنها ليست عذراء فاقترب لقاؤهما كثيرًا عما كان يتخيل.

أغلق هاتفه حتى لا يتلقى اتصالًا من أمل بعد أن تركها في المكان ورحل وكأن صدمة كهربية صعقته فلم يستطع الرد ثم قام من مكانه ورحل وتركها خلفه لا تدري ما الذي سيحدث، لم تشعر بنفسها إلا وأنفاسه قريبة منها ومن شفتيها، قبَّلها قبلة طويلة لم تشعر بنفسها إلا وهي مُلقاة على سريره بعد ما أخذ منها ما أراد وما سمحت له بأن يأخذه، لم يكن عندها مانع من ذلك بل كانت تخطط له منذ مدة ولم يكن يتوقع طارق أن تكون هذه الفتاة بهذه اللذة التي استطعمها

في علاقته معها، لم يبدُ على أي منهما الندم بعد أن فعلا ذلك للمرة الأولى سويًا، ولم يحاول أن يطمئنها، كانت هادئة وتنظر له في عينيه لتخبره بأنها أخيرًا نالته، ويعتقد أنه من أوقعها في شباكه لكن الحقيقة عكس ذلك.

بدأت تتذكر كل مرة كانت تقترب منه فيها تحاول أن تلفت انتباهه وكان يكذب نفسه ومشاعره والآن صدَّق كل هذا، لا تدري نيروز لمَ من بين كل رجال العالم تستلذ اللائي يحببن أمل وكأنها تريد أن تخبرها بأنها تمتلك من المقومات ما تستطيع أن تأتي بهم بين فخذيها، الغريب أنها تحبها ولكن تحب نفسها أكثر بكثير للحد الذي جعلها تحاول أن تؤذي أمل قبل ذلك، وها هي الآن تأخذ طارق منها.

كانت أمل وحدها في الطريق إلى المنزل بينما الشخص الذي استأمنته وأعطته سرها تركها وذهب إلى أحضان صديقتها.

قامت نيروز من السرير لتأخذ حمامًا دافئًا لتزيل من عليها آثاره وآثار الحب المزيف الذي مارساه سويًا، وقف طارق أمام النافذة نصف عارٍ يبتسم ابتسامة ماكرة، بقيت خطوة واحدة إلى أمل ففتح هاتفه ليجد رسالة من أمل تسأله سؤالًا مباشرًا:

- هنكمل ولا لأ؟

يعرف عنادها ويعرف جنونها جيدًا وأنها لن تبقي على أي أحد مهما كلفها الأمر، أرسل لها رسالة بكلمة واحدة حتى لا تضيع وحتى تدرك أنه مازال مندهشًا مما قصت عليه قبل قليل:

- هنكمل

ترك الهاتف ودخل إلى نيروز الحمام واقترب منها وقبَّلها تحت الماء كثيرًا، كانت تتعامل بخبرة كبيرة لكنه لم يلاحظ ذلك، رأى بنفسه أنه أول من يقترب منها وأقنع نفسه أن كل هذا ثقافة لا أكثر ولا أقل! قالت له وهي ترتدي ملابسها أمامه قبل خروجها.

- إحنا كده إيه؟

لم يفهم سؤالها فنظر إليها بعين حائرة، فأجابت مكانه على سؤالها؛ لأنها تعلم أنها ستصل إلى ما تريد قريبًا.

- إحنا زي ماحنا.

عدلت ملابسها ثم قالت وهي ترتدي حذاءها:

- أنا همشي ومش هعرَّف أمل إني عرفت حاجة وشوف هتعمل معاها إيه وابقى عرفني.

رغم اقتراب أمل ونيروز من بعضهما إلا أن أمل تترك بعض الأشياء لا تخبر بها أحدًا.

وصلت أمل إلى منزلها وألقت التحية على والديها ورمت نفسها في سريرها تفكر فيما سيحدث، لا تعلم لماذا أخبرته بعلاقتها بعبد الله، ربما لتُذيقه شيئًا مما شعُرت به وعلى عكس إرادتها تتذكر عبد الله وتقارن بينه وبين طارق في هذا الموقف، واثقة تمام الثقة أنه مهما حدث منها لم يكن ليتركها بمفردها أبدًا ولولا أنها أصابته في رجولته ما كان رحل عن عالمها إطلاقًا، كانت تضعف أحيانًا وقبل أن تتصل به تغلق الهاتف، ولكن رقم المنزل كان معها، كانت تتصل وتترك نفسها

لتسمع صوته فقط... فقط ليطمئن قلبها عليه.

***

- يعني إنتي اللي كنتي بتتصلي من وقت للتاني ومبترديش!!

قالها عبد الله بحماس وهو يعتدل في جلسته، فهزَّت رأسها إيجابا فتابع:

- والله كنت حاسس إنك إنتي.

ساد الصمت لثوانٍ وقبل أن تتابع أمل حكايتها قال:

- عيشتي كل ده لوحدك يا أمل!

تنهَّد ثم تابع:

- مكلمتنيش من زمان ليه يا أمل أكون جمبك في كل ده!

وقبل أن تجيب لام نفسه؛ لأنه تخيل أنه نسي صفاتها، كيف له أن يسأل هذا السؤال وأمل تقاوم وتقاوم حتى تقوم مرة أخرى أمل التي تعرفها جيدًا، اعتذر عن سؤاله وترك لها مساحة لتتابع حكايتها.

***

توسَّدت رأس عبدالله جسد أمه الهزيل على فراش الموت، رغم إيمانه بأن لكل نفس نهاية، إلا أنه ما توقع أن تأتي نهايتها سريعة بهذا الشكل، نهش المرض جسدها وانتكست حالتها في سرعة غير مسبوقة، لم يأخذ وقته في تلقي صدمة مرضها حتى يجدها تودعه بتلك السرعة!

لامست يدها رأسه وكأنها تطيب جراحه، حركت يدها بشكل حنون بريء وقالت:

- مش كنت زمانك متجوز دلوقتي ومطمنة عليك، هاسيبك لوحدك كده؟

حاول أن يمازحها وقال والدموع تنساب على صدرها:

-بنت خالتي برضو؟ لا ياستي مش عاوز، لو مش بحبها عمري ما اتجوز واسيبها في البيت وخلاص!

ثم ضحك بمزاح وقال:

- وبعدين هاتيلي واحدة شبهك وأنا أتجوزها!

سعلت بشدة مما جعله يهلع وتحرك من على صدرها وهو خائف من الدماء التي تسيل على شفتيها، كاد يفقد أعصابه ويهرب من هول ما يرى ولكنه تماسك حتى يساعدها، دموعه تنهمر دون توقف، تحوَّل عبدالله لطفلٍ صغير خائفٍ لا يعرف ماذا يفعل في هذا الاختبار الأليم!

طيلة الفترة الماضية كان وحيدًا ولكنها المرة الوحيدة التي شعر فيها بأنه بلا أحد، فأمه كانت كل أهله وأمانه وراحته الوحيدة بعد أمل، وبذهابها سيذهب عنه كلُّ أمانٍ ودفء.

***

لم تتوقع أمل وجود أبيها في هذا اليوم تحديدًا، لم تتخيَّل أن يطلب منها التحدث في أكثر وقتها ضعفًا وخذلانًا، جلس أمامها على

نفس الفراش وهي منكسة رأسها متعمدة، تخشى أن تواجهه بعينيها فيهرب ما تمر به وتنساب دموعها أمامه فيسألها عن السبب الذي لن تستطيع الإفصاح عنه، قطع الصمت صوته قائلًا:

- عارف إني كأب كنت بدور لبنتي على أحسن حاجة، أنا ماغلطتش يا أمل إني عاوزك سعيدة ومرتاحة وكنت عارف إن عبدالله مش الشخص اللي هيسعدك، بس أحيانا بقول لنفسي كنت سيبها تجرب، ماكنتش وقفت قدامكم، بس يا بنتي أنا ماكنتش بأذيكي والله كنت بحميكي..

عندما وجدها ساكنة بلا حرف، ضغط بيده على يدها وقال:

-عارف إنك بتلوميني، وشايفة إني ضيعت حياتك، بس دا مش حقيقي، بكرة لما تبقي أم هتعرفي إن دا تصرف طبيعي من كل أب خايف على بنته، هتلاقي نفسك دايما بتفكري في الأحسن حتى لو الأحسن دا مش هيسعدهم بس مسيرهم بعدين يقدروا ويدركوا إن الأهل كانوا صح لما يكتشفوا سعادتهم..

بكت أمل بل انهارت من البكاء ولكنها لم تبكِ على عبد الله وحده بل كانت تبكي على تلك اللعبة، على ندم والدها المتأخر، عن الشخص المناسب من وجهة نظر والدها، وكان طارق يتمتع بكل الصفات التي تعجبه ولكن كيف كان، لقد كسر قلبه وخدعها وخانها مع أقرب الناس إليها!

كيف تخبر والدها بأن ندمه هذا متأخر، فهي لم تعد تملك نفس المشاعر لعبد الله، فالواقع أنها لم تعد تملك أي مشاعر لتُسعد بها

أحدًا، أصبحت مجرد حُطام..

8

تمر الأيام أقل من العادية على الجميع، العلاقة بين أمل وطارق شبه مستقرة ولم يتحدث معها مرة أخرى في كونها لم تكن عذراء، ذلك كان يطمئنها قليلًا لكنها كانت تشعر بشيء غريب يحدث لا تفهمه، كذلك لم تخبرها نيروز بأنها على علم بأي شيء كما أن لقاءاتها مع طارق في منزله لم تنقطع وتوطدت العلاقة بينهما بشكل كبير للدرجة التي جعلت مشاعر طارق تتحرك تجاهها..

أحبها!! لا يعرف الحقيقة لما شعر به تجاهها لكنه يعلم جيدًا أنه لن يستطيع أن يتنازل عما تعطيه له مهما كانت التضحيات، نيروز منحته كل ما يريد دون أن تطلب منه أي شيء في المقابل ولا حتى الحب، كانت تعلم أن نهاية هذا العطاء أنها ستستحوذ عليه بشكل كامل، وها هي مع الوقت تحصد نتيجة عطائها لطارق.

كانت الفجوة بين طارق وأمل تزيد والكلام يقل حتى رأى طارق على هاتف نيروز صورًا خاصة لأمل، تركت نيروز هاتفها مفتوحًا عن قصد ليمسكه طارق ويقلب فيه ويصل إلى صور التقطتها نيروز لصديقتها بملابس خاصة ابتعاناها قبل أيام، كانت أمل تثق في صديقتها وتوقن أن لا يوجد أحد غيرها سيرى تلك الصور، ولم تتخيل أن طارق الذي يحاول معها منذ أن عرفته أن يرى منها أي شيء سيمسك الهاتف الآن ويقرب الصور أكثر وأكثر ليرى مفاتنها، فعلت ذلك نيروز لأنها تعلم ماذا يريد طارق من أمل؛ ولأنها متأكدة أن أمل سترفض ذلك وهذا ما تريده بأن تقع مشكلة كبيرة بينهما

فتنتهي هذه العلاقة ولا يبقى له غيرها، بالفعل أمسك هاتفه بينما كانت نيروز تأخذ حمامًا دافئًا بعد لقائهما واتصل بأمل:

- وحشيتني

لم يخبرها بذلك منذ فترة بعيدة، شعرت بأن هناك شيئًا في نبرة صوته.

- وإنت كمان وحشتني بس غريبة إحنا لسه سايبين بعض من ساعتين في الشركة!

ابتسم ابتسامة ماكرة وهو ينظر لملامحه في زجاج النافذة ثم عاد ينظر إلى السماء.

- لا وحشتيني التانية اللي بتاعة الناس اللي مقربين من بعض أوي.. إحنا ليه مبنقربش زي أي اتنين مرتبطين يا أمل.

قالت وهي تعتدل في جلستها وتترك رأسها للوسادة لتستريح:

- عشان الحاجات دي ليها وقتها يا طارق ووقتها لما مثلا نتجوز ونكون في بيت واحد ساعتها متهيألي ممكن نقرب زي مانت عايز.

صمتت قليلًا ثم لاحظت شيئًا غريبًا، هذه المرة الأولى التي تتكلم مع طارق عن الخِطبة والزواج، لم يفاتحها في هذا الموضوع قبل ذلك فسألته:

- إنت عايز تتجوزني يا طارق؟

كان السؤالُ مفاجئًا له، لا يعرف ماذا يريد منها فهو يحبها ويريدها

معه لكن بعد أن عرف أنها تزوجت قبل ذلك لا يعلم إن كان يريد أن تصبح زوجته أم لا.

- أنا عايزك يا أمل ومن أول يوم وأنا عايزك.

- حلو الكلام ده يا طارق بس إنت عمرك ما في مرة كلمتني عن مستقبلنا رغم إن مثلا شقتك موجودة وشغلك تمام.. إيه اللي مخلينا مبنتكلمش في الموضوع ده؟

في هذه اللحظة اقتربت نيروز منه وضمته من الخلف، شعر بها أكثر وأكثر وهي تداعب خصلات شعره وتقبله في كتفه، فلم يستطع أن يرد على أمل فقال:

- الكلام ده مينفعش في التليفون، نتقابل كمان ساعة؟

نظرت أمل في ساعتها، لم يتأخر الوقت كثيرًا:

- يلا أنا هقوم ألبس.

قامت أمل وارتدت ملابسها ونزلت مسرعة حتى لا تتأخر عن الموعد الذي يحدده لها والدها لتعود فيه، وفي الطريق سألته:

- هنتقابل فين؟

- ماتيجي البيت

لم ترد، تخبره ردها دائمًا بالصمت، فقال:

- هيحصل إيه يعني يا أمل.. هنبقى براحتنا بس مش أكتر بدل تكتيفة الكافيهات.

- اخلص يا طارق أنا في أوبر.. أقوله يوديني فين ولا أرجع؟

- خلاص في المكان بتاعنا.

كانا يلتقيان دومًا في مكان قريب من بيته ومن الشركة، وصلت قبله وجلست تنتظره في طاولة بعيده عن كل شيء تتابع كل ما يحدث حولها بترقب، دخل طارق المكان فرآها وتحرك نحوها مباشرةً، جلس أمامها دون أن يتكلم فكانت تنظر له دون أن تتكلم هي الأخرى، طال الصمت وكل منهما ينتظر الآخر أن يبدأ الكلام فسألته:

- إنت مستني أكرر نفس السؤال يعني؟

- مالك يا أمل فيه إيه.. إنتي بعيد أصلًا من فترة وفجأة داخلة عليا الدخلة دي ليه كده؟

تحكمت في أعصابها وأشارت إلى النادل وطلبت قهوتها ثم قالت:

- علشان أي اتنين مرتبطين طبيعي يا طارق يبقى كل تفكيرهم في بكرة وإمتى هيكونوا سوا وإنت عمرك ما اتكلمت في الموضوع ده معايا.. إنت عايزني في حياتك إزاي؟

اقترب بكرسيه أكثر منها ثم قال بصوت هادئ:

- أنا عايزك إنتي يا أمل وإنتي مش عايزة تسمحيلي بده!

- أسمحلك بإيه يا طارق.. اللي في دماغك ده مش هيحصل غير وإحنا متجوزين وانسى بقى الجو اللي إنت كنت عايش فيه ده.

نظر إليها نظرة تعلمها جيدًا بل كانت تنتظرها، نظر إليها وسألها:

- إشمعنى أنا يعني!!

أخذت أشياءها من على الطاولة وهمَّت بالرحيل دون أي كلام، يعلم أنه لن يأخذ منها ما يريد، لن تسمح له بعبور تلك المنطقة مهما حاول.. شعر بطاقته تهدر في مكان خطأ ليس مكانه الصحيح.. دون أي تعقيب على نظرتها له وقبل أن تغادر أمسك يديها وأجلسها مرةً أخرى ثم قال:

- أنا مش هكمل.

كسرت هذه الجملة الصمت الطويل الذي ساد بينهما، ثلاث كلمات كانت كفيلة بأن تضع حدًا لكل ما يحدث، تضع حدًا لكل شيء، سكتت كل الموجودات وتوقف كل شيء حولها، هذه هي المرة الأولى الذي ينطق بها وكأنه فراق محتوم أحسَّته وشعرت به منذ مدة ولكنها كانت تكذب نفسها.

- مش مرتاح.. مش مبسوط.. إنتي مفيكيش غلطة بس أنا مش مرتاح.. بحاول حتى أقرب منك عشان أثبت لنفسي إني غلطان وإني معاكي هبقى مبسوط وإنتي دايمًا رافضة ده.

تسأل نفسها سؤالًا واحدًا دون أن تنطق شفتاها: ماذا فعلت له حتى يشعر بعدم الارتياح! تذكرت كلَّ ما حدث بينهما من أول يوم حتى الآن وتفكر وتسأل نفسها سؤالًا واحدًا: ما الشيء الذي أخفقت فيه لتخسره بهذه الطريقة، من الذي دخل بين قلبيهما وروحيهما ليتسلل هذا الإحساس إلى قلبه؟

تذكرت كلامه وهو يخبرها دائمًا كم هي الراحة التي يشعر بها بين كفيها والسعادة التي تملأ قلبه عندما تحادثه، نظرت إليه طويلًا دون أن تتحدث، ثم لملمت أشياءها من على الطاولة وتحركت من دون أن تنطق.

***

مرَّ من الوقت ساعات وهما ينهلان من بحر العشق المحرَّم الذي أحكم سيطرته عليهما.. تلك الليلة المحمومة التي انتهت بهما إلى اللاشيء سوى بضع دقائق من اللذة التي يسرقانها كلما اجتمعا سويًا في مكانهما الموعود الذي اعتادا اللقاء به، لم تكن تعلم نيروز أن كل ما فعلته وتفعله لن يصل بها إلى ما تريده بل سيصل بها إلى ما لم تكن تعتقد أنه سيحدث يومًا، هذا ما يحدث دومًا تفاجئنا الرياح بما لا تشتهي السفن.. السفينة التائهة مصيرها دومًا الغرق، أوهمها بأنه لها بفتات الحب الذي يرميه لها في كل لقاء، صدقته فاعتقدت أنها امتلكته بعدما عمَّقت هوة الفراق التي زادت من حفرها بين أمل وطارق، تخبر أمل عنه ببعض التفاصيل فيزداد حنقها عليه وتخبر طارق كم هي سعيدة بدونه فيزداد تعلقه بها، لم تعلم أن غاية الهاربين بيوت خربة يختبئون بها لا يهمهم شيء سوى الاختباء والتواري عن الأنظار، هكذا فكانت هي بالنسبة له لا تعلم ما الذي بداخلها لأمل لتفعل بها كل هذا، تضربها بقوة في كل ما تملك في هذه الفترة، أخذت منها الشخص الذي وثقت به بعد فترة طويلة من الخوف والهروب من الارتباط، أخذت حمامًا دافئًا ثم جلست بجانبه تسأله:

- إحنا هنفضل كده لغاية إمتى؟

لم يبالِ لسؤالها، ردَّ عليها كأنه إنسان آلي مبرمج على الإجابة:

- هنفضل كده علطول.

اعتدلت في جلستها، نظرت إليه بحدة ثم قالت:

- من غير جواز ومن غير أي حاجة رسمي!

نظر إليها مستنكرًا ثم قال بلهجة تملؤها الدهشة:

- جواز!! مين جاب سيرة الجواز وهنعمل إيه بالجواز غير اللي إحنا بنعمله كل يوم! هو أنا وعدتك بجواز في إيه مالك؟

-مالي إزاي يعني طبيعي بعد كل اللي إحنا فيه نتجوز.

أشاح بنظره عنها ثم قال وهو يحاول أن يسيطر على انفعالاته:

- بلاش نتكلم في الموضوع ده يا نيروز عشان منزعلش من بعض.

تبدَّلت ملامحها وزالت النشوة والحب من داخلها ثم قالت بنبرة حادة:

- إنت قولت كلام يزعل فعلا بس كمل عادي عاوزة أعرف.

تحرَّك بعيدًا عنها ثم قال وهو يصب لنفسه كأسًا من الماء:

- إحنا كويسين سوا يا نيروز... مبسوطين وبنتقابل كل كام يوم بقالنا شهرين، شهر قبل ما أسيب أمل وأدينا داخلين في الشهر التاني بعد ما سبت أمل فمش فاهم إنتي عايزة إيه وبعدين هتفرق معاكي

في إيه نتجوز ولا لأ!

هبَّت من مكانها لترتدي ملابسها في عصبية واضحة وريثما انتهت وقفت أمامه مباشرة قائلة بتحدٍ واضح:

- تفرق إن اللي في بطني ده يطلع يلاقي باباه موجود.

تحوَّل طارق من الإنسان الرقيق الذي كان معها منذ قليل إلى حيوان مفترس لا يراعي أي شيء إلا خوفه ممَّا فعلت، وقوعه في شيء لا يريده، يريد أن تظل حياته كما هي... من فتاة لأخرى بدون أي مسؤوليات أو التزامات فقال بصوت عالٍ:

- نعم حامل إزاي إنتي مش من أول يوم قايلة إنك عاملة حسابك!

- كنت عاملة حسابي وواخدة بالي وحصل... هنعمل إيه؟!

زفر بضيقٍ ثم قال:

- لازم ينزل... مينفعش يكمل.

- وليه ميكملش؟

- عشان أنا مش هتجوز واحدة زيك ولا هتكوني أم لولادي يا نيروز.

لم تشعر بنفسها إلا وهي ترفع يدها وتصفعه على وجهه صفعة قاسية قائلة له:

- إنت إزاي واطي كده!

صعق من صفعتها ومما قالت فاستشاط غضبًا فجذبها من شعرها

قائلًا:

- لا إنتي لسه مشوفتيش حاجة... بتمدي إيدك عليا أنا!! هو إنتي متعرفيش اللي بيمد إيده عليا أنا بعمل فيه إيه!!

هجم عليها وضربها بقوة ثم ركلها بكامل قوته فأسقطها أرضًا، لم يكن يعي أين تأتي ركلاته، كانت تتقلب من الألم تحت قدميه وتزحف فلم يفيقه سوى خيوط من الدم بدأت تتسع بقعها على الأرض أمامه إلى أن استكانت وفقدت الوعي كادت تموت بين يديه، وقف ينظر لما حدث ولا يصدق، هل هذه هي النهاية، اتصل بصديقه المقرب يخبره بما حدث وماذا يفعل معها وهي فاقدة للوعي فقال له:

- اتصل بالإسعاف بسرعة وأنا هحصلك على المستشفى.

اتصل بالإسعاف وحملها معهم إلى المستشفى وانتظر إلى أن يصل صديقه ليكون معه، أبلغ الطبيب بأنها فقدت الوعي وهي تنزل السلم وسقطت، لم يستطع الطبيب أن ينقذ الجنين كان في أيامه الأولى فلم يتشبث بالحياة وفُقد، مرَّت الساعات بطيئة على الجميع حتى استفاقت من جرعة المخدر التي بداخل دمائها، علمت أنها فقدت الجنين ولا تعلم ماذا تفعل سوى البكاء، لا تعلم هل تبكي عليه وهو لم يستمر معها طويلًا، أم على خستها التي تعاملت بها مع أقرب صديقة لها، أم على أنها لم تعِ أن النتيجة الطبيعية لكل ما كانت فيه قد حدثت!! لا تستطيع أن تتكلم مع أحدٍ من ذويها ليأتي لها فكانت تنظر حولها ولا ترى شيئًا.. كل شيءٍ غير واضح، وترى طارق يقف بعيدًا

فصرخت فيه أن يخرج من الغرفة فهو آخر شخص تريد أن تراه الآن، طلبت من الممرضة أن تتصل برقم أمل وقالت بصوت تهدج من البكاء والوجع:

- الحقيني يا أمل!

9

قفزت أمل رغم ألمها وتعبها في ملابسها، وأخذت العنوان من الممرضة وتحركت إلى صديقتها، كان لا يزال طارق يقف بالخارج لا يعلم ما الذي يدفعه للمكوث بعدما أثبت دناءته معها.. ربما كان يريد أن يكفر عن ذنبه ولكنه استفاق من تأنيبه لنفسه المزيف عندما رأى أمل أمامه، اندهشت عندما رأت طارق يقف خارج الغرفة فتجاوزته مثلما تجاوزت ألمها منه، هرولت بخطاها إلى صديقتها وضمتها إلى قلبها تحاول أن تهوِّن عليها وتسألها عمَّا حدث. تبكي نيروز.. تبكي بشدة، أجابتها بصوت متقطع من أثر البكاء:

- هحكيلك على كل حاجة بس أرجوكي تسمعيني للآخر.

حاولت نيروز أن توقف نوبة البكاء والندم التي اعترتها وهي تحكي لأمل في ندم ولوم شديد لذاتها عن كل ما فعلت معها.. ربما قررت أن تحكي لها لأنها أصبحت وحدها الآن وعلمت أن لا جدوى لكل خطتها؛ محاولةً أن تنقذ ما يمكن إنقاذه ممَّا تبقَّى لها من نفسها بعد كل ما جرى وجرت له الأمور فتخبرها بما حدث منذ أن قررت أن تدخل حياة طارق إلى هذا الوقت الذي جمعهما وانتهى بها على فراش بالمستشفى.

كانت أمل تسمع ما تحكيه صديقتها غير مصدقة أن كل هذا يحدث من شريكة العمر، كيف يحدث كل هذا منها! كيف ملأها الحقد عليها لهذه الدرجة!! لا تدري الآن ماذا عليها أن تفعل! تتركها وترحل أم تظل معها.. مئة فكرة جاءتها.. لا يوجد حولها ذرة أكسجين واحدة،

تشعر بالاختناق فحاولت جاهدة أن تتحرك إلى النافذة المجاورة لها وتفتحها وتقف لتأخذ أنفاسها، ربما هي في كابوس الآن ولا تستطيع أن تستفيق منه، تريد أن تصرخ بكامل ما فيها. تذكرت الكابوس الذي راودها منذ فترة ليست ببعيدة وهي لا تصدق أيًّا مما قيل لها، ابتعدت عنها برغم جلوسهما بجانب بعضهما، يغمرها شعور بالشفقة والاشمئزاز في نفس الوقت ولا تستطيع مقاومة إحساسها بالغثيان كلما سمعتها تكمل حديثها الذي تُسميه مصارحةً واعترافًا، لتقول أمل بعصبية:

- حسيتي بإيه، كان حضنه عامل إزاي؟ كان طعمه أحلى من صداقتنا، كان يستاهل إنك تبيعي عشرتي؟

- أرجوك أنا عارفة إني غلطانة.

- لا إنتي مش عارفة حاجة، إنتي خاينة، أنا مش عارفة أنا إزاي مستحملة وجودي جنبك دلوقتي، حاسة بروحي بتتسحب مني.

كانت أمل تتجاهل نظرات نيروز ودموعها، كان طارق يرى انفعال أمل لكنه لا يعرف إن كانت نيروز تكلمت معها أم لا.. دلف إلى الغرفة، فكان يقف الثلاثة بجانب بعضهم البعض كما كانوا دائمًا. تابعت أمل وهي تنظر إليهما:

- زعلانة أوي من أهلي عشان ربوني بأخلاقي دي، جوايا نار ممكن تحرقكم، مش زعلانة عليه، بالعكس دي كانت الحقيقة الوحيدة اللي فوقتني، نقصت رصيده جوه قلبي، وموتت المشاعر اللي كانت لسه مستنياه، إنتي ساعدتيني وإنتي بتضيعيني، خسرتي أكتر حد ممكن

كنتي تطمني بوجوده، أنا همشي من حياتك وأنا سعيدة، سعيدة إنك خسرتي حد زيي، حد مستحيل تلاقي زيه تاني، أبدًا..لم يستطع طارق أن ينطق بأي كلمة، قالت نيروز:

- قلبك الكبير هيسامحني، إحنا الاتنين ضحية..

- اخرسي، إنتي إزاي جالك الجرأة تكلميني أنا بالذات؟ ماكنش قدامك غيري، رغم وساختك عارفة إن مفيش غيري هيسترك، صح وأنا زي الهبلة جريت عليكي، جريت أطمن، أشوف صاحبة عمري مالها!!

نكست نيروز رأسها، كيف يمكنها أن تبرر، كيف تدافع وهي محقة في كل كلمة، بل كانت أمل رحيمة معها، فلو كانت مكانها لقتلت من تعدى عليها بهذه الخسة والدناءة، صمتت وتمنَّت لو تتوقف الأخرى عن جَلدها، وبالفعل توقفت أمل عن الحديث ولكن صرخت بداخلها «يا الله ساعدني» مرت تلك الثواني كالدهر على قلبها، حاولت أن تطمئن والديها أنها حادثة سير صغيرة وأنها ستكون بخير في الصباح، نظرت إليها نظرة أخيرة ثم قالت:

- مش عاوزة أسمع اسمك بيتردد حواليا تاني..

- يا أمل..

- اخرسي، واسمي مايجيش على لسانك تاني.

طأطأت نيروز رأسها، وعندما رفعتها كانت أمل قد ولَّتها ظهرها وفي طريقها للخروج دون عودة، بصقت عليهما بدون أدنى تردد،

إنهما أقذر من تعاملت معهم في الحياة.

***

رحل طارق إلى نفس المكان الذي يهرب إليه دومًا، الموسيقى الصاخبة والمشروبات التي تُنسيه ما فعل وما هي حقيقته. وجدها تنتظره، تقف أمامه مباشرةً قائلة:

- كنت مستنياك.

كانت إحدى ضحايا طارق، التي أخذت وقتًا كافيًا حتى تستعيد قوتها وتقرر أخذ حقها منه مباشرةً. بحثت عنه وعلمت بما فعل لما قبلها ومن تلومها. نظر إليها غير مصدق أنها عادت بعد آخر لقاء بينهما. صافحها وقبَّلها وأخذ بيديها ليجلسا سويًا على الطاولة فقالت:

- موحشتكش؟

ابتسم لما فهمه من كلامها، مندهشًا قليلًا مما يحدث؛ لأن آخر لقاء بينهما كان كافيًا لأن تنتهي علاقتهما، لأنها تعود في الوقت المناسب لتنسيه ما حدث اليوم. أخذته وخرجت ثم تركت في يد أحد أفراد المكان ظرفًا مليئًا بالنقود وأخذت منه شريطًا صغيرًا للكاميرا التي ترصد المكان. ركبت بجانبه السيارة وذهبت معه إلى منزله، وفي نفس المكان الذي شهد ألمها ووجعها منه أجلسته ثم قالت سائلة:

- هنشرب إيه؟

- إحنا لسه هنشرب؟

- طبعا يا حبيبي هو المزاج يحلى من غير شرب.

أحضرت له كوبًا من مشروبه المفضل، وضعت به سمًّا لا يترك طعمًا ولا رائحة ولا يظهر في تحليل الدم. أعطته الكوب وأخبرته أنها ستبدل ملابسها وتأتي له مباشرةً. جلس طارق على الأريكة وشرب مشروبه كاملًا في أقل من دقيقة. عندما سمعت صوت اصطدام الكوب بالأرض خرجت من الغرفة وبدأت تعيد كل شيء في مكانه وتمسح بصماتها من على كل قطعة لمستها. نزعت عنه ملابسه وتركت الهاتف والريموت بجانبه وفتحت شاشة التلفاز على فيلم جنسي وأوقفت الشاشة على مشهد فاضح، ووقفت أمامه مباشرة قائلةً بصوت حاد يملؤه الانتصار:

- خليك كده لغاية ما ريحتك تطلع.. ولما يدخلوا عليك يشوفوا نهايتك الوسخة اللي شبه الحياة الوسخة اللي عشتها.

ورحلت بعد أن أخذت بثأر الجميع منه.

***

بلَّلت دموعها وجنتيها دون أن تشعر، رغم محاولتها السيطرة على تلك الدموع إلا أنها خذلتها كما خذلها الجميع، نظرت له ولملامحه الهادئة تترك عينيها له لتحكيا كل ما لم يستطع لسانها أن ينطق به، يستطيع قراءة عينيها جيدًا، ومَن دونه يعرف ذلك، إنه ليس مثلهم فهو الخسارة الوحيدة التي خسرتها، ذلك الحلم البعيد الذي قررت أن تتركه من أجل رضى والدها. الذي أيقن بعد سنوات أنه أخطأ في ذلك لكن كبرياؤه رفض أن يفصح عن ذلك، مسحت أمل دموعها

وهي تتنفَّس بعمق، ثم قالت وهي تنظر لعبد الله في عينيه مباشرة نظرةً اخترقت ذكرياته وقلبه:

- أنا آسفة.. آسفة إني عملت فيك كده..

لا يعلم ماذا يفعل! هل يقبل أسفها وكأن شيئًا لم يكن، أم يلومها على ما فعلت به طيلة الثلاثة أعوام الماضية؟، لم ينسَها يومًا، لم تغِب عن عينيه منذ يومها. كان يشعر بها في أحضانه في كل مرة يضمه فيها أحد. مهما حاولت التخيل فلن تعلم ماذا فعلت فيه سنوات غيابها الحاضر الذي قتل كل شيء حوله إلا هي، وكعادته لم يتكلم، استقبل منها أسفها بابتسامة صافية وعين لمعت شوقًا لكن دون أي كلام فلن يجدي الكلام شيئًا بعد كل تلك السنين.

شعرت وكأن جبلًا قد تهدَّم من فوق كتفيها وأصبح ترابًا تغزوه الرياح ويتبخَّر بعيدًا عنها بعدما ألقت كلَّ ما في قلبها بين يديه، إنها تلك الراحة التي كانت تشعر بها دومًا وهي تستند إلى كتفه على سور الشرفة وينظران إلى السماء وتحكي له كل ما حدث وهو يسمعها بنفس الشغف الذي لم ينتهِ قط. أحبها فاحتلت كل قلبه ولم تترك شيئًا له ليعطيه لأي مِمَّن مروا به، عاشت معه رغم بعدها وكانت بقربه رغم المسافات. كان يبيت ليله بين أحضانها وعلى ذكراها ورائحتها كل تلك السنين العجاف.

بعد كل تلك الساعات التي مرَّت وهي تقص عليه قصتها وهو يحاول كبح جماح غيرته وشوقه ولهفته التي لم تنقضِ بسنوات البعد، نظر لها بنظرة الحنين الذي لم يفارقه.. نظرت في ساعتها

لتصعق من مرور تلك الساعات التي مرَّت عليها وهي تجلس بجواره، انقضى اليوم بأكمله ولم تشعر إلا بدقائق قليلة في قربه، قصَّت عليه حكايتها بتفاصيلها بألمها بكل ما فيها ولم تبالِ بما سيقع في قلبه. رأت ذلك في عينيه لكنه سرعان ما دارى عنها ذلك وهي تعلم منها القوة فتحمل معها الكثير، كان قويًا ليتحمل غيابها كل تلك السنين بدون أن تلمسه أخرى، بدون أن يعكر صفو حياته معها بأخرى، قطع صمتهما ونظراتهما المتبادلة صوت النادل وهو يقترب منهما معتذرًا:

- أنا آسف والله بس إحنا المفروض نقفل دلوقت.. بنعتذر!

اعتدل عبد الله في جلسته واعتذر للنادل، نظر لأمل ثم قال لها:

- محسيناش بالوقت.. أعتقد لازم نقوم.

أماءت له بالموافقة وهي تنتظر منه أي رد على أسفها ولكنه لم يُجب، عاد من جديد ليمسك يدها ويغادر المكان وهناك حرب بداخله، هل يتجاهل ما قالته أم يعيره اهتمامًا أم بعد معرفته الحقيقة التي كان لا يصدق غيرها كل تلك السنين يظل بجانبها وتعود إلى مكانها سالمة، كان يسير بجانبها في صمت ثم كسر الصمت بكلام عادي قائلًا:

- أخرتك أنا عارف مواعيد رجوعك للبيت بس أنا هوصلك.

وقف أمام سيارته ليفتح لها بابها فوقفت أمامه مباشرة قائلة:

- مش هترد عليا!!

لم يستطع أن يرد فكان قلبه يؤلمه بقوة، تداخلت كل المشاعر

بداخله وحرمه الكلام من الخروج والرد من بين أضلعه، كان يشعر بالاختناق ولا يدري ماذا يفعل. قلبه يريد أن يضمها ويخبئها بداخله، وعقله يُخبره بأن يتركها ترحل كما جاءت.. وكيف يتركها بعدما ألقى بها القدر في طريقه مرة أخرى!! كيف لا يمسك بيديها خاصة أنها لازالت تعيش معه ولم تغب.

فتح لها الباب كعادته ثم ركب في مكانه وتحرك بها إلى منزلها الذي لم ينسَ الطريق إليه، كلما أراد أن يتأكد أنها مازالت حية بداخله ذهب إلى منزلها ليتنَّفس من نفس الهواء الذي تتنفس منه. داس على البنزين بقوة ثم ضغط على زر في السيارة ليخرج آخر صوت كانت تتوقع أن تسمعه الآن بعد كل هذا الفراق والبعد، صوت فلسطيني بأغنية تراثية بأصوات جديدة، شعرت بقلبها يخفق وهي تبتلع ريقها وتحاول أن تتنفَّس بهدوء حتى لا تنهار، كانت تنظر له وهو ينظر للطريق ولا يريد أن ترى عينيه وهما تقاومان الانفجار. ظلت عيناها تراقب انحسار الطريق الذي جمعهما تحت عجلات السيارة وتركت نفسها للصوت الفلسطيني الذي دائمًا يأسرها. «وين ع رام الله وين ع رام الله وانت يا مسافر وين ع رام الله.. ما تخاف من الله ما تخاف من الله كويت قليبي ما تخاف من الله».

كانت تبكي من داخلها بقوة، ظلمته وظلمت نفسها كل تلك السنين.

«وين يا حبيبي وين يا حبيبي تاركني ورايح وين يا حبيبي حظي ونصيبي حظي ونصيبي ويلك من الله حظي ونصيبي».

لم تستطع أن تقاوم ضعفها بعد هذه الكلمات فانهارت وتحوَّل

بكاؤها إلى نحيب، تركت نفسها أخيرًا لتضعف وكان على آخره لم يشعر بنفسه إلا وهو يضمها إلى قلبه وترك عينيه أخيرًا ليبكيها، لم يستمر بكاؤهما كثيرًا فمسح عبد الله لأمل عينيها وقبَّل رأسها ويديها واعتذر لها عن كل الذي مرَّت به بمفردها. اعتذرت أمل عما فعلت به وتسبَّبت له بعد كل تلك السنين التي مرَّت. تذكرت أخيرًا أن تسأله:

- إنت كنت رايح الـ Therapy تعمل إيه؟

لم يجبها، فقط سألها:

- هشوفك تاني؟

أخذت هاتفه لتكتب له رقمها الجديد واتصلت على رقمه الذي لا تزال تحتفظ به لتجد أن رقمه لم يتغير، نظرت له من دون أن تُعقِّب وتعلم أنه كما هو كما تركته منذ سنوات.

- هكلمك لما أصحى ونتقابل عشان تحكيلي.

تمت